واقع العلاقة الإنسانية بين الآباء والابناء في ضوء آيات القرآن الكريم

م. د. رياض حسين احمد
ديوان الوقف السني
drydhsyn@gmail.com

The reality of the human relationship between parents and children in the light of the verses of the Noble Qur'an

Research submitted by
Dr. Riyad Hussein Ahmed
drydhsyn@gmail.com

المستخلص

لقد كانت بداية هذا البحث تدور حول دعوة الأبناء بالثبات على الدين، مع الإخلاص في العبادة لله تعالى، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والحث عليها مع التمسك بها؛ لأنها الأساس في الحياة، والأساس في الآخرة، مع تربيتهم على التوحيد وعدم الشرك بالله تعالى، والتمسك بالقرآن الكريم الذي جاء هادياً وبشيراً وعدم التخلي عنه، ثم بينت في المطالب الأخرى، الدعوة لهم بأن يكونوا ذرية طيبة، مع أداء الأمانة والابتعاد عن الخيانة، مع بيان التواضع وعدم الكبر؛ لأن ذلك الأمر يجعلهم أمام اختبار وفتنة لهم ولآبائهم، وكذلك بينت مدى أهمية الصبر في الدنيا والآخرة، مع الإبتعاد عن الكفر والرذيلة، والحذر كل الحذر من الشيطان الرجيم؛ لأنه ضال ومضل، وكذلك الإبتعاد عن الحسد والفرقة، لكي يكونوا صالحين مصلحين مخلصين، ثم تناولت في آخر البحث عدة وصايا كلها تصب في صالح الآباء والأبناء وصالح المجتمع الذي يعيشون فيه، مع سلامة أسرهم وعوائلهم، وبعدها ذكرت الخاتمة وفيها التوصيات والنتائج لهذا البحث، مع ذكر المصادر والمراجع، وأسأل الله التوفيق والسداد لنا وللمسلمين جميعاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ.

الكلمات المفتاحية: الآباء، الأبناء، الذرية الصالحة، التربية.

Abstract

The beginning of this research revolves around calling on children to remain steadfast in religion, with sincerity in worship to God Almighty, and the establishment of prayer and the payment of zakat, and urge it while adhering to it, because it is the basis in life, and the basis in the hereafter, with their education on monotheism and non-polytheism with God Almighty, and adherence to the Holy Qur'an, which came as a guide and a harbinger and not to abandon it, and then showed in the other demands, the call for them to be good offspring, with the performance of honesty and stay away from betrayal, with a statement of humility and non-arrogance; This makes them in front of a test and sedition for them and their parents, as well as showed the importance of patience in this world and the hereafter, while staying away from infidelity and vice, and beware of all caution from the accursed Satan, because he is misguided and misleading, as well as staying away from envy and division, in order to be righteous reformers loyal, and then dealt with at the end of the research several commandments, all of which are in the interest of parents and children and the benefit of the society in which they live, with the safety of their families and families, and then I mentioned the conclusion and the recommendations and results of this research, with the mention of sources and references, and ask May God grant success and payment to us and all Muslims, and our last prayer is that praise be to Allah, Lord of the Worlds, and may Allah's prayers be upon our master Muhammad (may Allah's peace and blessings be upon him).

Keywords: parents, children, good offspring, education

المقدمة

الحمد لله خالق الأرض والسماء، بسط الرزق في الأرض وجعلها مهداً للأنام، علا عرشه على الماء ليختبر الناس أيهم يكون في أحسن الأعمال، وأصلي وأسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم جاء هادياً ومبشراً ونذيراً، هادياً للبشر إن تمسكوا به وجعلوه النور الذي يرون به طريقهم، ومبشراً لهم بالجنة التي يوعدون بها، ونذيراً لهم بأن يبتعدوا عن الضلالة ويتمسكوا بالحق المبين، ومحذراً لهم من إقتراف الذنوب والمعاصي، ولهذا خص بالوصايا التي تجعل العباد على نور من ربهم وتخرجهم من الظلمات إلى النور، فهذه الوصايا ألزمت الآباء بمتابعة أبنائهم على التمسك بالدين القويم، وتربيتهم على أحسن الصفات والخصال التي جاء بها القرآن الكريم حتى لا يقعوا في المهالك التي تفسد حالهم وتفسد أخلاقهم، مع تغير صفات المجتمع الذي يعيشون به، لذلك ارتئيت أن يكون عنوان بحثي مختصاً بهذا المجال مع بيان أهم هذه الصفات الواجب التمسك بها، وهو بعنوان (واقع العلاقة الإنسانية بين الآباء والأبناء في ضوء آيات القرآن الكريم) وقد كان هذا البحث يحمل في طياته مطالب عديدة قد بلغت خمسة عشر مطلباً كلها تدور حول رعاية الأبناء واستمدت ذلك من آيات القرآن الكريم.

أما المطلب الأول فقد تناولت فيه دعوة الآباء للأبناء بالثبات على الدين، مع بيان الأهداف والمقاصد للنص القرآني، وأما المطلب الثاني فقد بينت فيه الإخلاص في العبادة لله تعالى، مع بيان الأهداف والمقاصد للنص القرآني، أما المطلب الثالث فقد أوجزت به في بيان إقامة الصلاة والحث عليها؛ لأنها هي الأساس في حياة الأبناء، مع بيان الأهداف والمقاصد للنص القرآني، أما المطلب الرابع فقد اختص ببيان دعوة الأبناء

إلى التوحيد وعدم الشرك بالله تعالى، مع بيان الأهداف والمقاصد للنص القرآني، أما المطلب الخامس فقد جاء يوضح مدى تمسك الأبناء بالقرآن وعدم التخلي عنه، مع بيان الأهداف والمقاصد للنص القرآني، وقد جاء المطلب السادس يوضح أهمية الدعوة بأن يكونوا ذرية طيبة في الدنيا والآخرة، مع بيان الأهداف والمقاصد، ثم جاء المطلب السابع ليبين أهمية الأمانة وتحمل المسؤولية وعدم خيانتها، مع بيان الأهداف والمقاصد، أما المطلب الثامن فقد ركز على التواضع وعدم التكبر على الناس، مع بيان الأهداف والمقاصد للنص القرآني.

أما المطلب التاسع فقد جاء ليبين أن الأبناء هم إبتلاء وفتنة للآباء، مع بيان الأهداف والمقاصد للنص القرآني، وقد اخترت أن يكون المطلب العاشر مختصاً بأهمية الصبر في التعامل مع الناس في الحياة الدنيا وأن الصبر هو مفتاح الفرج، مع بيان الأهداف والمقاصد لهذا النص القرآني، وقد جاء المطلب الحادي عشر ليبين مدى خطورة الكفر على الأبناء، مع بيان الأهداف والمقاصد للنص القرآني، أما الأمر المهم الذي يحمله المطلب الثاني عشر هو الدعوة للذرية بالإستجارة من الشيطان الرجيم وهو الأهم في حياتهم لخطورة الأمر مع هذا العدو، مع بيان الأهداف والمقاصد للنص القرآني، وبعد التحذير من الشيطان جاء المطلب الثالث عشر ليحذر الذرية من الفرقة والحسد فيما بينهم لأنها صفات مذمومة، مع بيان الأهداف والمقاصد للنص القرآني، لكن الأمر قد اختلف في المطلب الرابع عشر وذلك بالدعوة للأبناء بأن يكونوا مخلصين صالحين في الدنيا والآخرة، وقد ختمت المطلب الخامس عشر بعدة وصايا كلها تدور حول صلاح الأبناء وقد بلغت سبعة عشر وصية اختصرتها بعدة نقاط كلها تدور حول الأبناء مستمداً ذلك من القرآن الكريم، ومستعيناً بالله العلي القدير، لذلك فقد جاءت الخطة على النحو الآتي:

أولاً: أهمية الموضوع:

(١) إن هذا الموضوع له أهمية كبيرة في حياة الأبناء على صعيد المجتمع كله مستمداً ذلك من القرآن الكريم؛ لأنه جاء ليخرج العباد من الظلمات إلى النور.

(٢) إن هذه الأهمية تكمن في دور الآباء من خلال تربية الأبناء على سلوك الطرق الصحيحة التي جاء بها القرآن الكريم.

(٣) إن الأبناء هم ثمرة المجتمع فإذا صلح الأبناء صلح المجتمع كله وساد فيه الإيمان في كل النواحي التي يعيش فيها الناس اليوم.

(٤) تكمن هذه الأهمية كذلك في إصلاح العوائل إذا صلح أبناءها وسلامتها من التفكك والعزلة.

(٥) إن صلاح الأبناء هو دعوة للأبناء لإنقاذهم من عذاب جهنم والدخول إلى الجنة.

(٦) إن هذه الدعوة كانت دعوة الأنبياء لأبنائهم من أجل الثبات على الدين والنجاة من مهالك الدنيا.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

(١) الحفاظ على سلامة أبناء المجتمع من الزيغ والهلاك.

(٢) توعية الأبناء من أجل الثبات على الدين والبعد عن الدنيا.

(٣) بيان دور الآباء في سلامة أبنائهم من التردي والإنحطاط.

(٤) إن الصفات التي ذكرها القرآن لها تأثير كبير في حياة الأبناء؛ لأنهم إذا تمسكوا بها فقد ربحوا ونجوا من العذاب.

(٥) إن القرآن الكريم شدد على ضرورة الدعوة للأبناء من أجل أن يكونوا ذرية صالحة على كل المستويات.

(٦) تربية المجتمع تربية صالحة، تربية دينية، تربية إسلامية.

ثالثاً: أهداف البحث:

(١) إظهار مقاصد القرآن واعتنائه بالموضوعات الأساسية التي تخدم مصالح الأمة والمجتمع.

(٢) تقديم الحلول المناسبة للأبناء لغرض إصلاح الواقع الحالي للمجتمع وللأسر من الهلاك.

(٣) توعية الأبناء توعية سليمة على الثبات على الدين والتمسك بما جاء به القرآن الكريم.

(٤) التركيز على الآباء بأن يهتموا بالدعوة للأبناء بأن يكونوا صالحين مصلحين لا تغرهم الحياة الدنيا.

رابعاً: منهجية الباحث:

(١) لقد اتبعت المنهج الاستقرائي في كتابه وذلك من خلال جلب الآية مع بيان المعنى العام لها، والأهداف التي اختصت بها.

(٢) تفسير الآيات بالقدر الذي يخدم الموضوع، مع توثيق الآية وإسم السورة، ورقم الآية في الهوامش.

(٣) تخريج الأحاديث من مضانها، والاستدلال بها.

(٤) الاستدلال بأقوال العلماء المختصين بهذا المجال مع الإكتفاء بذكر إسم المؤلف، والجزء والصفحة، حتى لا يثقل الهامش.

(٥) الأمانة العلمية في كتابة الموضوع.

خامساً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وخمسة عشر مطلباً، وقائمة المصادر والمراجع، مع خاتمة، لذلك جاءت الخطة على النحو الآتي:

- **المقدمة:** وفيها أهمية الموضوع، وأسباب إختياره، وأهداف البحث، وأهمية البحث، ثم خطة البحث وتتكون من:
  - المطلب الأول: دعوة الآباء للأبناء بالثبات على الدين.
    - أولاً: المعنى العام.
    - ثانياً: الأهداف والمقاصد.
  - المطلب الثاني: دعوة الأبناء في الإخلاص في عبادة الله تعالى.
    - أولاً: المعنى العام.
    - ثانياً الأهداف والمقاصد.
  - المطلب الثالث: الدعوة لهم بإقامة الصلاة.
    - أولاً: المعنى العام.
    - ثانياً: الأهداف والمقاصد.
  - المطلب الرابع: دعوة الأبناء إلى التوحيد وعدم الشرك بالله.
    - أولاً: المعنى العام.
    - ثانياً: الأهداف والمقاصد.
  - المطلب الخامس: الدعوة للذرية بالتمسك بالقرآن وعدم الإعراض عنه.
    - أولاً: المعنى العام.
    - ثانياً: الأهداف والمقاصد.
  - المطلب السادس: الدعوة لهم بأن يكونوا ذرية طيبة.

- أولاً: المعنى العام.
- ثانياً: الأهداف والمقاصد.

- المطلب السابع: تربية الأبناء على أداء الأمانة وتحمل المسؤولية.
  - أولاً: المعنى العام.
  - ثانياً: الأهداف والمقاصد.
- المطلب الثامن: دعوة الأبناء إلى التواضع وعدم الكبر.
  - أولاً: المعنى العام.
  - ثانياً: الأهداف والمقاصد.
- المطلب التاسع: توعية الأبناء على أنهم إبتلاء وفتنة.
  - أولاً: المعنى العام.
  - ثانياً: الأهداف والمقاصد.
- المطلب العاشر: الحث على الصبر في التعامل مع الناس.
  - أولاً: المعنى العام.
  - ثانياً: الأهداف والمقاصد.
- المطلب الحادي عشر: الدعوة للأبناء بالثبات وعدم الكفر.
  - أولاً: المعنى العام.
  - ثانياً: الأهداف والمقاصد.
- المطلب الثاني عشر: الدعوة للذرية بالاستجارة من الشيطان.
  - أولاً: المعنى العام.
  - ثانياً: الأهداف والمقاصد.
- المطلب الثالث عشر: قيام الآباء بتحذير الأبناء من الفرقة والحسد.

- أولاً: المعنى العام.
- ثانياً: الأهداف والمقاصد.

▪ المطلب الرابع عشر: إختيار الصحبة الصالحة للأبناء وأن يكونوا من المخلصين الصالحين.

- أولاً: المعنى العام.
- ثانياً: الأهداف والمقاصد.

▪ المطلب الخامس عشر: وصايا الآباء للأبناء التي يوجب الإلتزام بها وعدم التخلي عنها.

- أولاً: الإيمان بقدرة الله تعالى.
- ثانياً: ضرورة نهي الأبناء عن مصاحبة الأشرار.
- ثالثاً: حث الأبناء على الإستقامة على الأعمال الصالحة.
- رابعاً: الإستعانة بالله تعالى في كل الأمور.
- خامساً: توعية الأبناء بأن الحياة الدنيا لعب ولهو.
- سادساً: توعية الأبناء بالإيمان بالبعث والنشور.
- توعية الأبناء على عدم اليأس من رحمة الله.
- ثامناً: توعية الأبناء بالابتعاد عن سوء الظن وعدم التجسس على الآخرين.
- تاسعاً: الابتعاد عن كل حلاف مهين.
- عاشراً: تحذير الأبناء من نار جهنم.
- الحادي عشر: عدم التقرب الى الفاحشة.
- الثاني عشر: عدم الإقتراب من اكل الربا.
- الثالث عشر: تربية الأبناء بأن يكونوا من المتقين.
- الرابع عشر: تعضيد معنى الأخوة الصادقة.
- الخامس عشر: توعية الأبناء بأن الملائكة تستغفر للذرية الطيبة.

المبحث الأول: دور الآباء في صلاح الأبناء على الطريق المستقيم:

المطلب الأول: دعوة الآباء للأبناء بالثبات على الدين.

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾[1]

اولاً المعنى العام: لقد أوصى تعالى الأنبياء بالثبات على الدين، لذلك وصى الآباء الأبناء بالثبات وأن لا يموتوا إلا وهم مسلمون، قال الطبري: "إن الله تعالى أختار لكم هذا الدين الذي عهد اليكم، وإجتباه لكم، لذلك حث إبراهيم ويعقوب (عليهما السلام) إبناءهما عليه، وهو الثبات على الإسلام قائلين: أي: لا تفارقوا هذا الدين، وهو الإسلام، أيام حياتكم؛ وذلك لأن لا أحد منكم يدري متى تأتيه منيته، فلا تموتن إلا وأنتم على هذا الدين مسلمون له، فلا تفارقوا الإسلام، وتمسكوا به، فيه نجاتكم، وبه هدايتكم إلى الصراط المستقيم، فلا تفارقوه فتأتيكم مناياكم وأنتم على غير هذا الدين الذي إصطفاه لكم ربكم فتموتوا وربكم ساخط عليكم، فتهلكوا، لكنهم قالوا: نخلص له العبودية، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ دونه رباً، ونحن له خاضعون بالعبودية والطاعة، ونحن له الآن وفي كل حال مسلمون لعبادته"[2].

وبين إبن كثير: "أن من يرغب عن ملة إبراهيم في طريقته ومنهجه فيخالفها ويرغب عنها فقد ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق، والإنقياد إلى الضلال الذي به هلاك النفس، وهو بهذا مخالف لطريق الهداية والرشاد، فمن ترك طريقه هذا ومسلكه وملته، فهو من الخاسرين، لذلك أمره تعالى بالإخلاص والإستسلام والإنقياد له، فهذا هو ما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب، وهو الموت على ملة الإسلام، فحافظوا عليه إلى حين إتيان الأجل، ووصوا أبنائهم بها من بعدهم، وأحسنوا في حال الحياة، ليرزقكم الله الوفاة عليه، فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه،

وقد أجرى الكريم بأنه ما قصد إلا الخير ووفقاً له وسير عليه الأمر، فمن نوى صالحاً ثبت عليه، ومن أعرض عنه خاب وخسر"[٣].

الأهداف والمقاصد لهذه الآيات:

إن لهذه الآيات حكم جليلة توحي بأنها تجعل من المسلم ثابتاً على دينه مطمئناً بإسلامه، ثابتاً على مبدأه، ومن أهم أهدافها هو كالآتي:

(١) إن هذه الآيات تدل على شفقة الأنبياء (عليهم السلام) على أولادهم بالثبات على الدين، والإنقياد له، والإسلام به، مع صرف همهم إليه دون غيره.

(٢) كما أنها هدفت إلى الترغيب في الإيمان، وتحذيرهم من مخالفته[٤].

(٣) إن من يرغب عن ملة إبراهيم، فهو من أستحب العمى على الهدى، وأنه خسر الآخرة والأولى.

(٤) إن في هذه الآية إنتقال إلى إشراك أهل الكتاب، وغيرهم من العالمين من العرب في التذكير والإرشاد إلى الإسلام، فقد كان جارياً على طريقة الايجاز، ثم انتقل إلى طريقة الاطناب والالحاح.

(٥) وصية الأبناء بالإسلام، وذلك يشعر بأن بني إبراهيم كانوا يوصون بما أوصاهم أبوهم، فإن يعقوب أخذ الوصية عن أبيه إسحاق، وذلك من ضروب الايجاز الدقيقة.

(٦) أخلصت هذه الآيات إلى عقيدة الوحدانية في العبادة وإسلام القلب لله تعالى، والإخلاص له، وفي هذه الآيات يراد بها تقرير حقيقة الدين، وهو الدين الخالص لله تعالى، مع إبطال كافة الأديان التي جاءت بها العرب واليهود، مع الثبات على التوحيد والبراءة من الشرك بأنواعه، والإسلام والإخلاص لله في جميع الأعمال[٥].

(٧) ومن أهدافها الأخرى أنها بينت أن من شأن أهل الحق أن يكونوا حريصين على صلاح أنفسهم وصلاح أمتهم، فوجب أن يحرصوا على دوام الحق في الناس، وهو من سنتهم التوصية لمن يظنونهم خلفاً لهم في الناس، فأوصوهم بأن لا يحيدوا عن طريق الحق ولا يفرطوا فيه، فإن حصوله ليس بالأمر الهين، وذلك يتم بمجاهدة النفوس مع مرور الأزمان، فكان ذلك أمراً نفسياً يجدر أن يحتفظوا به[٦].

ولذلك نرى أن تربية الأبناء على الإستقامة والثبات على الدين هو خير مسعى للنجاة من أقدار الدنيا وعذاب الآخرة؛ لأنهم إذا تربوا على الإيمان فإن ذلك فيه نصرة لدينهم ومجتمعهم، وبذلك أصبحوا ذرية صالحة تخاف الله تعالى، مما يزيد ذلك الأمر المجتمع صلاحاً واستقامة، والله أعلم.

المطلب الثاني: دعوة الأبناء في الإخلاص في عبادة الله.

لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [٧]

أولاً: المعنى العام: إن في العبادة أمر لا بد منه، مع إقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهذا ما أمر الله تعالى به عباده، فقال السلمي: "إن الله تعالى أمر عباده بالإخلاص في العبادة، والإخلاص لا يتم إلا بالإجابة فمن لم يكن له إجابة فلا إخلاص له؛ لأن عمل العبد لا يكتمل حتى يوصل عمله بالخشية وفعله بالورع، وورعه بالإخلاص، وإخلاصه بالمشاهدة، والمشاهدة بالتبريء عما سواه، وأن تكون حركاته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى، وحده لا شريك له لا يمازجه شيء ولا نفس، والإخلاص يكون على ثلاثة معانٍ: الأول: إخلاص العبادة لله، وإخلاص العمل لله، وإخلاص القلب لله، ويكون ذلك الإخلاص بتصفية العمل من شوائب الكدر، وأن لا يطلع على عملك إلا الله ولا ترى

نفسك فيه، ويجب عليك أن تعلم أن المنة لله عليك في ذلك الأمر الذي أهّلك الله إليه في عبادته، ووفقك لها فلا تطلب منه ثواباً؛ لأن الإخلاص باطن والخشوع ظاهر، فهذا لا يتم إلا بالصدق مع الخالق، والصبر عليه، والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه، والمداومة عليه، فالصدق أصل كل شيء والإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في الأمان؛ وذلك لأن النفس صنم والروح شريكة فمن عبد النفس فهو يعبد الصنم ومن عبد الله بالإخلاص فهو الذي قهر نفسه، فالإخلاص هو صدق القلب في طلب الثواب للأعمال والهرب منها من العقاب، كما هو الإرادة للأعمال للخروج من الشبهة، فالمخلص لا يجب حمد المخلوقين ولا ذمهم، ولا ما في أيديهم، ومن ذلك تبين أن الإخلاص هو إفراد الله بالأعمال الصالحة من قلب صالح بالإيمان"[٨]، " وأن يكونوا حنفاء لله غير مشركين به، قلوبهم موحدة له، قائمين بالصلاة وهي أشرف العبادات، ويؤتون الزكاة بمساعدة الفقراء والمحتاجين وذلك هو الدين للملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة"[٩].

ثانياً: الأهداف والمقاصد لهذه الآية:

لهذه الآية أهداف ومقاصد توضح عن مدى الإخلاص في العبادة لله تعالى وهي كالآتي:

(١) إن هذه الآية تهدف إلى بيان المطلوب من الخلق هو إقامة الدين خالصاً لله تعالى، أو جاعلين أنفسهم خالصة له في الدين؛ لأن الإخلاص يراد به التوحيد وترك الشرك، مائلين عن جميع العقائد الزائفة إلى الإسلام، والإشارة إلى ما ذكر من عبادة الله وحده وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وما فيه من الإشعار بعلو مرتبته وبعد منزلته.

(٢) كما أنها بينت أن الإخلاص يوجب خلوص النية لوجه الله تعالى، بحيث لا يشوبها شبهة أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص لوجهه تعالى، أما إذا كانت لغير

وجه الله تعالى من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك، فالعمل هنا أصبح رياء محض مردود.

(٣) لذلك فإن درجات الإخلاص ثلاث: الأولى: أن يعبد الله لطلب غرض دنيوي أو أخروي من غير ملاحظة أحد من الخلق، والثانية: أن يعبد الله لطلب الآخرة فقط، والثالثة: أن يعبد الله عبودية ومحبة خالصة لله تعالى[١٠].

(٤) إن هذه الآية من الأدلة الدالة على وجوب النية في العبادات؛ لأن الإخلاص من عمل القلب[١١].

(٥) عبادة الله وحده وإخلاص الدين له وتخصيصه بالعبادة، وكون الإخلال بذلك يعد شركاً بالله تعالى.

(٦) إنكار الشرك وإقامة الحجة على أهله، وإثبات التوحيد لكونه من مقتضى الفطرة.

(٧) بيان أن شارع الدين هو الله تعالى، فيجب إتباع ما أنزله ولا يجوز إتباع أولياء من دونه في العقائد والعبادات[١٢].

(٨) التأكيد على أن الإخلاص يجب في إقامة الصلاة، والتي هي مظهر الولاء لله تعالى، وآية الخضوع لجلاله وعظمته، ثم إيتاء الزكاة، التي هي أثر من آثار الإيمان بالله، الذي من شأنه أن يقيم المؤمنين بالله على التواد والتراحم، والتعاطف فيما بينهم، مع الخضوع لجلاله وعظمته، كياناً واحداً في محراب الصلاة[١٣]. وما نراه أن هذه الصفة لها ميزة خاصة فهي تبين للأبناء كيف يكونوا مخلصين في كل شيء، وفي كل الأعمال التي من شأنها تستقيم الأمور وتنصلح الأمة بصلاح أبنائها إذا أخلصوا العمل والنية في كل أعمالهم، صغيرها وكبيرها، لكي يكونوا أمناء على دينهم وأمتهم، والله أعلم.

(٩)

المطلب الثالث: الدعوة لهم بإقامة الصلاة:

قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝٤٠﴾ (١٤)

أولاً: المعنى العام: لقد دل قوله تعالى على طلب الإستعانة منه سبحانه وتعالى، من أجل إصلاح النفس والذرية وإرشادهم إلى فعل الخير ومنها إقامة الصلاة، فقال البغوي: "إن نبي الله إبراهيم (عليه السلام) طلب من ربه أن يجعله مقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها، وأن يجعل له من ذريته من يقيم الصلاة التي هي عماد الدين، كما سأل ربه أن يتقبل منه عمله وعبادته، وأن يغفر لوالديه وللمؤمنين يوم يقوم الناس لرب العالمين"(١٥). ولهذا فإن أول ما أختاره نبي الله هو الصلاة له ولذريته، وهذا يدل على أنه لم يطلب الدنيا بقصر أو بمال، ولو طلبها لأهلك نفسه وذريته، وقد علم (عليه السلام) أن أساس الدين هو الصلاة، وأن يكون جاداً في إقامتها، "لذلك فقد خص الصلاة من بين الفرائض؛ لأنها العنوان الذي يمتاز به المؤمن من غيره، ولما لها من ميزة عظمى في تطهير القلوب والأبدان من الفواحش والمنكرات ما ظهر منها وما بطن، كما سأل ربه أن يتقبل منه الدعاء، وأن يجعل له من ذريته من يثبت على إقامة الصلاة مجتنبين عبادة الاصنام"(١٦).

ومن أهم أمور تقديم الصلاة في كل شيء؛ وذلك لأنها تنهى عن كل إثم أو فاحشة، فقال تعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ۝٤٥﴾(١٧)، "إن الصلاة تشتمل على شيئين هما: ترك الفواحش والمنكرات، أي: المواظبة عليها فإنها تحمل على ترك ذلك؛ لأن فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخصال فليست بصلاة: أولها: الإخلاص، والخشية، وذكر الله، فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله القرآن فهو يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر؛ لأنه إذا كان في

الصلاة فهو في معروف، وقد تحجزه الصلاة عن الفحشاء والمنكر، والذي يداوم عليه الإنسان من ذكر الله فهو أكبر شيء عند الله ذكره في الرخاء والشدة"[١٨]

ثانياً: الأهداف والمقاصد لهذه الآية:

إن هذه الآية هدفت إلى بيان أثر الصلاة والتي هي أساس الدين وبها قوام الفرد والمجتمع، وبها تنصلح الأحوال والنفوس، ومن أهدافها نذكر منها:

(١) "إن فعل الطاعات يتضمن ترك المعاصي، ونفس ترك المعاصي يتضمن فعل الطاعات، ولهذا فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ لأنها تنهي عن اقتراف الذنوب، وتهيئ الانسان إلى ذكر الله وهو أكبر الأمرين فما فيها من ذكر الله أكبر من كونها ناهية عن الفحشاء والمنكر"[١٩].

(٢) "إن المؤمن الموقن هو الذي يزين أعماله وأخلاقه بالصلاة، وباستكمال ما هدي إليه من القرآن، وهو ذكر الله، فيجعل ذلك معياراً له يعرض عليه أعماله وأخلاقه؛ وذلك لأن الصلاة تقتلع الصفات الذميمة الراسخة التي تكاد تكون فطرية، فمن لم تنهه صلاته عن الصفات الذميمة، ولم تقتلع من نفسه جذور الجبن والهلع، والبخل والطمع، فليعلم أن صلاته لم تكن صالحة في عرف القرآن، ولا مستحقاً لما وعد عباده الرحمن"[٢٠].

(٣) "إن تربية الذرية على إقامة الصلاة أمر مهم؛ لأن الصلاة تطهر الروح، وتزكي النفس؛ ولأنها تنهى عن ارتكاب الفحشاء والمنكر، وتربي في المصلي الإحسان، وتذكره دائماً بكمال المطلق، فتوجه همته إلى طلب ذلك الكمال، فالصلاة تطهر الإنسان من الرذائل والمنكرات، والعقائد الفاسدة، فتجعله أنظف الناس أبداناً، وأزكاهم نفوساً، وأصحهم أجساماً، وأرقاهم أرواحاً، فإنما الإنسان روح وجسد، لا تكتمل إنسانيته إلا بكمالها وأداءها على أكمل وجه"[٢١].

(٤) فالصلاة هي الأصل فإذا أقيمت بشكل يرضي الله تعالى، فإنها ستأمر صاحبها بأداء الزكاة التي تقوم بها مصالح المعاشية العامة، ويزول بؤس الفقراء والمساكين بمشاركتهم للأغنياء في أموالهم بحكم الله المغني، عند ذلك تكفل حفظ الفضيلة ومنع الرذائل بإقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر"[٢٢].

(٥) وإن الصلاة فريضة عملية مهذبة تجريدية الله سبحانه وتعالى، وهي فريضة اجتماعية، لتأليف مجتمع متحاب متواد مترابط بصلات من الرحمة والتعاون، يجمعه الإلف الروحي والطهر والإخلاص والالتقاء عند الله تعالى في كل يوم خمس مرات. ومهما يكن فالأساس في أمر الصلاة أنها تهذيب روحي[٢٣]، وتأليف اجتماعي على الطهر، واجتماع على الألفة والمودة والرحمة. وقد فسر بعض المفسرين إقامة الصلاة بالمداومة عليها من غير تقصير، وبعضهم يفسرها بالمسارعة إليها عند النداء بها[٢٤].

(٦) "إن إقامة الصلاة والأمر بها عمل عظيم، وهذا الأمر يشمل الأمة كلها، وطلب الأمر بإقامة الصلاة وذلك لما فيها من الصلاح النفساني؛ لأنها تنهى عن كل الذنوب والمعاصي، وهذا التعليل موجه للأمة؛ لأن النبي ﷺ معصوم من الفحشاء والمنكر، فأقتصر على القليل الأمر بإقامة الصلاة لما فيها من الصلاح الذي جعله الله تعالى في الصلاة؛ لأن فيه سر إلهي لا يهتدي إليه الناس إلا بإرشاد منه تعالى، فأخبر أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهذا التحذير هو من خصائصها.

(٧) إن الصلاة تشتمل على مذكرات بالله من أقوال وأفعال من شأنها أن تكون للمصلي كالواعظ المذكر بالله تعالى، إذ ينهي سامعه عن ارتكاب ما لا يرضي الله تعالى"[٢٥].

(٨) ففي الصلاة من الاقوال تكبير الله وتحميده وتسبيحه والتوجه إليه بالدعاء والاستغفار، وقراءة فاتحة الكتاب المشتملة على التحميد والثناء على الله، والاعتراف

بالعبودية له، وطلب الإعانة والهداية منه، واجتناب ما يغضبه وعن كل ما به من ضلال، وكلها تذكر بالتعرض إلى مرضاة الله، والإقلاع عن عصيانه وما يفضي إلى غضبه، فذلك صد عن الفحشاء والمنكر.

(٩) وفي الصلاة أفعال من خضوع وكذلك لله تعالى، كما فيها قيام وركوع وسجود، فذلك يذكر بلزوم التباعد عن سخط الله واجتلاب مرضاته، وكل ذلك ما يصد عن الفحشاء والمنكر.

(١٠) فالصلاة أعمال قلبية من نية واستعداد للوقوف بين يدي الباري عز وجل، وذلك يذكر بأن المعبود جدير بأن تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه، فكانت الصلاة بمجموعها كالواعظ الناهي عن الفحشاء والمنكر، فإن الله قال ﴿تَنْهَى﴾ ولم يقل تصد وتحول ونحو ذلك مما يقتضي صرف المصلي عن الفحشاء والمنكر، ومن حكمته تعالى جعل الصلوات موزعة على أوقات النهار والليل، يتجدد التذكير وتتعاقب المواعظ، وتزداد خواطر التقوى في النفوس، وتتباعد النفس عن العصيان تصير التقوى ملكة لها، ووراء ذلك خاصية إلهية جعلها الله في الصلاة يكون بها تيسر الانتهاء عن الفحشاء والمنكر"[٢٦].

(١١) ولهذا فقد أثنى تعالى على عبده ورسوله إسماعيل (عليه السلام) بصدق الوعد؛ لأنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾[٢٧]، وهذا أيضاً من الثناء الجميل والصفة الحميدة، والخلة السديدة، حيث كان مثابراً على طاعة ربه عز وجل، بإقامة الصلاة التي هي أساس الحياة كلها، آمراً أهله بها، محافظاً عليها، لذلك خاطب تعالى رسوله فقال: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ

لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[٢٨]، أي: إستنفذهم من عذاب الله بإقامة الصلاة، وإصبر أنت على فعلها"[٢٩] [٣٠].

(١٢) "وهؤلاء قوم شعيب كانوا قائمين على المعاصي والذنوب فعندما أتتهم الدعوة عجبوا لهذا الأمر فخافوا على أنفسهم فسألوا نبيهم فقالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾[٣١]، أي: أن ترك ديننا ودين آباءنا ونأتي إلى صلاتك التي تأمرك أن نترك ذلك، ولكنهم لم يعلموا أن الصلاة والإيمان هو الذي يطهر النفس من دناءة الطمع، ويحليها بفضيلة القناعة والكرم والنماء، فأحفظكم من هذه المعاصي والرذائل التي أنتم مقيمين عليها، وما أنا إلا مبلغ عليهم وناصح أمين"[٣٢].

(١٣) وهذا سيدنا لقمان (عليه السلام) يأمر إبنه أن يقيم الصلاة وهي العبادة لوجه الله خالصة، فقال تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [٣٣]، "أي: يا بني أقم الصلاة بحدودها وفروضها وأوقاتها، وأنصح الناس بالمعروف وأنههم عن المنكر بقدر طاقتك وجهدك، وأصبر على ما يصيبك من أقدار في الدنيا؛ لأن ذلك من عزم الأمور، فقد علم (عليه السلام) أن النهي عن المنكر والأمر بالمعروف لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر؛ لأن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور"[٣٤].

وبعد عرض هذه الصفات تبين أن الصلاة هي أساس الفرد وبها سلامة المجتمع من الآفات، وبها تحصن النفوس، وبها تزداد البيوت بركة، وبها تنهض الأمة بواقعها، فلا بد لهذه الأمة أن تحافظ عليها بقدر ما تستطيع وذلك من عزم الأمور، فالصلاة ليست حركات فقط، بل هي أعمال صالحة يقدمها الأبناء لكي ينصلح حالهم بالابتعاد عن كل الصفات الرذيلة التي نهى عنها الإسلام، مع التقرب إلى كل الصفات الحميدة التي

أقرها الشرع، فهذه هي الصلاة من حيث أنها أعمال وليست أقوال، وهذا هو من باب الحصول على ذرية صالحة، والله أعلم.

المطلب الرابع: دعوة الأبناء إلى التوحيد وعدم الشرك بالله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[٣٥]

أولاً: المعنى العام: لقد ابتدأ (عليه السلام) دعوته لأبنه بالتوحيد ونبذ الشرك بالله؛ لأن في ذلك ظلم للنفس، وظلم للخالق، حيث يجعل من العبد إلهاً يعبد، لذلك فهو ظلم؛ لأنه كما بينه الرازي: "وضع للنفس الشريف المكرم بقوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[٣٦]، في عبادة الخسيس؛ أو لأنه وضع العبادة في غير موضعها وهي غير وجه الله وسبيله، وأما أنه عظيم فلأنه وضع في موضع ليس موضعه، ولا يجوز أن يكون موضعه، وأما الإشراك فوضع المعبودية في غير الله تعالى فلا يجوز أن يكون غيره معبوداً أصلاً، لذلك قال لقمان لأبنه وهو يرشده إشارة إلى التكميل، فإن إرشاد الولد أمر معتاد، حيث بدأ بالأهم وهو المنع من الإشراك، ليكون كاملاً في نفسه ومكملاً لغيره"[٣٧].

فالنهي عن الشرك والدعوة إلى التوحيد هو السبيل الوحيد لسلامة العقول والقلوب، والأساس في إستقامة الأفراد على الطريق الصحيح، فقال إبن عاشور: "إن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليها عن مبادئ الفساد والضلال، فإن إصلاح الإعتقاد أصل لإصلاح العمل، فقوله: ﴿ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾، يفيد إثبات وجود إله وإبطال أن يكون له شريك في إلهيته، فالشرك ظلم تعليل للنهي عنه وتهويل لأمره،

فإنه ظلم لحقوق الخالق، وظلم للمرء نفسه إذ يضع نفسه في حضيض العبودية لأخس الجمادات، وظلم لأهل الإيمان الحق إذ يبعث على إضطهادهم وأذاهم، وظلم لحقوق الأشياء بقلبها وإفساد تعلقها بغير خالقها"[٣٨].

لذلك فإن غرس العقيدة الصحيحة في عقول الأبناء هو الطريق الصحيح نحو تربية جيل موحد لله تعالى، ملتزماً بأوامره، ومجتنباً نواهيه، لذلك فهي دعوة للآباء أن يهتموا بتربية الأبناء على الإيمان، والحفاظ عليهم من نار جهنم، لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [٣٩]، أي: الأمر بطاعة الله، والنهي عن المعصية، والله أعلم.

ثانياً: الأهداف والمقاصد لهذه الآية.

إن لهذه الآية أهدافاً ومقاصد تدور كلها حول التوحيد وعدم عبادة غير الله، نذكر منها على النحو الآتي:

(١) لقد كان في هذه الوصية أموراً هامة تحتوي على مضامين التوحيد والإخلاص في عبادة الله، وعدم عبادة غيره؛ لأن ذلك يسبب إختلال الموازين، وقلب الحقائق، فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾[٤٠]، أي: "موحدين مخلصين لا نعبد إلا إياك، قائمين لجميع شرائع الإسلام؛ لأن كمال سعادة العبد في أن يكون مسلماً لأحكام الله تعالى وقضائه وقدره، لذلك فالذرية أحق بالشفقة والمصلحة، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [٤١]؛ وهذا يدل على أن أولاد الأنبياء إذا

صلحوا صلح بهم غيرهم وتابعهم على الخيرات، ولهذا وجب تربية الأبناء على الإخلاص والتوحيد، فإنه لا يزال من ذرية إبراهيم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً"[٤٢].

(٢) "إن الإيمان بالله تعالى مستقر في فطرة العقل، ولو ترك ونفسه، وتجرد من الشبهات النائية فيه من التقصير في النظر، أو الملقاة إليه من أهل الضلالة المستقرة فيهم الضلالة، بقصد أو بغير قصد، لذلك فالشرك ليس من مقتضى الفطرة فالتلبس به خروج عن أصل الخلقة كخروج المسافر عن موطنه، ويشبه حال التوحيد بمحل المرء وحبه الذي يأوي إليه، لقوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[٤٣]، فلما كان في أصل الفطرة العلم بوحدانية الله وبطل الإعتذار بالجهل به، وكان الإشراك إما عن عمد وإما عن تقصير، لذلك من شأن الذرية الإقتداء بالآباء والسير على نهج التوحيد"[٤٤].

(٣) ومن أهدافها الأخرى أنها توجب على الوالد أن يدعو الله بأن يهدي ولده إلى الصراط المستقيم، فيوحد الله تعالى ولا يشرك به شيئاً، كما دعا سيدنا إبراهيم (عليه السلام) فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[٤٥]، وهو بذلك أراد أن يحجب عن ذريته الإشراك بالله تعالى، وأن يجعلهم موحدين مخلصين له الدين.

(٤) وقد حرص (عليه السلام) على تربية أولاده على هذا المبدأ العظيم الذي لا يزيغ عنه إلا هالك، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾[٤٦]، "لقد خص ذريته بالدعاء للشفقة عليهم، بأن يكونوا مسلمين موحدين؛ لأن في صلاحهم صلاح نسل الصالحين وبهم ينفع غيرهم سيخلفهم، إذ يكونوا سبباً لصلاح من ورائهم، لذلك لا يزال من ذريتهما من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً"[٤٧].

(٥) إن هذا الخوف على الأبناء من الوقوع في الظلم، وهو الإشراك، خشية أن يحبط عملهم فيكونوا من الخاسرين لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾[٤٨]؛ "وذلك لأن الشرك محبط لجميع الاعمال، وهو في الدنيا والآخرة من الخاسرين، لذلك أمره بالإخلاص، ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾[٤٩]، أي: "أخلص له العبادة وحده لا شريك له، وكن شاكراً لربك على النعم، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، وكذلك نعم الدين، فوجب شكرها وشكر المنعم بها، والسلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من المعجبين بالنعم، وهذا بسبب جهلهم، والواجب هو شكرها وعدم العجب بها"[٥٠].

(٦) ولم يتوقف الحال إلى حد إحباط العمل، بل قد يؤدي إلى سلوك الضلال، وهو بدوره يجعل هذه الذرية في ضلال بعيد، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾[٥١]، أي: "فقد سلك غير طريق الحق، وضل عن الهدى وبعد عن الصواب، وأهلك نفسه وخسرها في الدنيا والآخرة، وفاتته سعادة الدنيا والآخرة"[٥٢]، لذلك وجب الخشية من وقوع الذرية والنفس في هذا الضلال البعيد، الذي مصيره الهلاك، وما أصاب هذه الأمة من الهلاك إلا بهذا الذنب العظيم وهو الإشراك بالله، وعدم الإخلاص، وعدم تتبع سير الصالحين في إصلاح أبنائهم بالدين القويم، والثبات على صراطه المستقيم، لذلك فقد سلك أبناء هذه الأمة الطرق الملتوية التي أدت إلى الإشراك بالله عن طريق الحلف بأمور كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان، مما جعل هذا الجيل في خطر شديد ينذر بتخلف هذا المجتمع إذا لم يحاول إصلاح أبناءه على عدم الإشراك بالله، والرجوع إلى التوحيد والإخلاص، والله أعلم.

المطلب الخامس: الدعوة للذرية بالتمسك بالقرآن وعد الإعراض عنه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾[٥٣].

أولاً: المعنى العام: لقد أنزل تعالى القرآن رحمة للمؤمنين، ونوراً لهم وهداية للصراط المستقيم، فإذا تمسكوا به أفلحوا، وإن أعرضوا عنه هلكوا، فقال السمرقندي: "إن القرآن يدعو ويرشد الناس صغيرهم وكبيرهم إلى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان بالرسول، والعمل بما جاء به القرآن، ليصلح حال المسلمين وذرياتهم، وهو بشارة للذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً"[٥٤]، "فالقرآن دليل لا يدل إلا على الحق فمن إتبعه قاده إلى الحق، ومن أعرض عنه إنقاد إلى الجهل والهلاك، ومن تمسك به وفق للزوم الإستقامة، فمن إهتدى به فاز ونجا، وربما هلك من جفا نفسه عنه"[٥٥]، فهو فيه إيماء إلى سلامة أمة القرآن من الحيدة عن الطريق الأقوم؛ لأن القرآن جاء بأسلوب من الإرشاد القويم ذي أفنان لا يحول دونه الولوج إلى العقول حائل، ولا يغادر مسلكاً إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكه إليها تحريضاً أو تحذيراً، بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه إجتناء ثمار أفنانه، وبتلك الأساليب التي لم تبلغها الكتب السابقة كانت الطريقة التي يهدي إلى سلوكها أقوم من الطرائق الأخرى، وإن كانت الغاية المقصود الوصول إليها واحدة"[٥٦]، "لذلك أرشد سبحانه للحال التي هي أقوم لتشمل الحال حال المجتمع، وحال الذرية، وحال الأسرة، وحال الإنسانية، وكل حال هي خير للإنسان في عاجلته وأخرته، معاشه ومعاده، ثم ذكر سبحانه وتعالى حالتين أولاهما: الإيمان، وثانيهما: العمل الصالح، وقرن الإيمان بالعمل الصالح لتلازمهما، فالإصلاح بين الناس، والمعاملة الحسنة، والوفاء بالعهد، وغير ذلك من مكارم الأخلاق، والبعد

عن ضلالها، فهذا كله من الإيمان بالله تعالى، ومن الأعمال الصالحة التي لها أجر كبير "[٥٧].

ولهذا فإن الله تعالى أنزل القرآن ليخرج الناس من الظلمات إلى النور فمن إهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، حيث لا معين ولا ناصر له؛ لأنه أعرض عن كتاب الله الذي هو رحمة وشفاء وهداية للمؤمنين، وهذه الهداية هي هبة من رب العالمين ليتعاهد الناس على قراءته وتدبر معانيه وهو عصمة للأمة على مر العصور والأزمان فإن تمسكوا به فلن يضلوا من بعده، وإن تعاهدوا على هجره فذلك هو الخسران المبين، وهو الشقاء الأبدي الذي يكون وبالاً عليهم على مدى حياتهم، والله أعلم.

فقال تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ۝١٠٠﴾[٥٨]، وقال إبن كثير: "من أعرض عن إتباعه أمراً وطلباً وكذب به، وابتغى الهدي في غيره، فإن الله يضله ويهديه إلى سواء الجحيم، ويوم القيامة يحمل إثماً، فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع، فمن إتبعه هدي، ومن خالفه ضل وشقي في الدنيا، والنار موعده يوم القيامة خالدين فيها لا محيد لهم عنه ولا إنفكاك لهم، وساء لهم يوم القيامة حملاً، أي: بئس الحمل حملهم"[٥٩]، "وهذا الإثم جاء بسبب أنهم أعرضوا عن القرآن العظيم وصدوا وأدبروا عنه، ولم يعملوا بما فيه من الحلال، والحرام، والآداب، والمكارم، وما فيه من العقائد والقصص، والأمثال، فإن ذلك يحملهم من الإثم العظيم، والعقوبة الثقيلة الباهظة، مع صعوبة تحملها الذي يلقى عليه بوزره؛ أو لأنه جزاء الوزر وهو الإثم، حيث يأتون يحملون أثقال ذنوبهم وكفرهم يوم القيامة في أقبح صورة وأسوئها"[٦٠].

لذلك لم يبقى الأمر إلى هذا الإعراض عن القرآن بل وصل إلى أعلى من ذلك فقد ترك العباد القرآن حتى بقى مهجوراً على الرفوف والمكاتب لا أحد يستطيع أن يقرأ منه شيئاً لهذا أصاب هذه الأمة الشقاء؛ لأنها عزفت إلى غيره والذي هو متاع الحياة الدنيا، فقال

تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾[٦١]؛ وذلك لأن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يستمعونه، حيث كانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللفظ والكلام في غيره حتى لا يسمعوه، مما أدى ذلك إلى هجرانه وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه، مع ترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وإمتثال أوامره وإجتناب زواجره من هجرانه، حيث أدى ذلك إلى العدول إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره وهذا كله بسبب هجرانه"[٦٢].

"لقد هجروه وهو الذي أنزله على عبده لينذرهم، ويبصرهم، فلم يفتحوا له أسماعهم إن كانوا يتقون أن يجتذبهم فلا يملكون لقلوبهم عنه رداً، وهجروه فلم يتدبروه ليدركوا الحق من خلاله، ويجدوا الهدي من خلاله، كما أنهم لم يجعلوه دستوراً لحياتهم، وهو قد جاء ليكون منهاج حياة يقودها إلى أقوم طريق"[٦٣]، "وهذه شكوى عظيمة، وفيها أعظم تخويف لمن هجر القرآن العظيم، فلم يعمل بما فيه من الحلال والحرام والآداب والمكارم، ولم يعتقد ما فيه من العقائد، ويعتبر بما جاء فيه من الزواجر والقصص والأمثال، حيث تركوا التصديق والعمل به، وذلك من أجل حطام زائل"[٦٤].

وما نراه اليوم من هذه الأمة التي أصابها من الويلات والنكبات؛ وذلك لأنها لم تتمسك بكتاب ربها فأعرضت عنه، ولم تعلم أن هذا النور هو به حياة الشعوب والقلوب، لكنها لم تذعن لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[٦٥]، وهذا الإعراض هو أحد أسباب الشقاء الذي أحاط بها من كل جانب؛ لأنها أختارت الحياة الدنيا من أجل لقمة العيش الزائلة لا فائدة منها، أم لقمة العيش الدائمة التي بها تحيا النفوس والأبدان، وهذه الأمة التي إصطفاها الله تعالى لتكون خير الأمم وهي ترفع رأسها عالياً؛ لأنها حملت أعظم هداية لكنها تركت هذه الهداية وأصبحت صاغرة للأعداء

يخوفونها من كل مكان بأنهم هم الأقوياء ونحن أذلائهم، ما هكذا أراد الله تعالى لهذه الأمة أن تشقى وتذل وبيدها عصمة أمرها وهو كتاب ربها، الصراط المستقيم، والهدي المبين، فضاع مجدها وكرامتها وعزتها، فأصبحت الأمة متفرقة يسير أمرها أعدائها، فأصبحوا متهالكون عليها كلٌ يأكل من جهة لكي يتقاسموا خيراتها ويصبح أفرادها عبيداً للأعداء، فالقرآن هو هدى وشفاء لهذه الأمة ولو أنكب الناس عليه لما زار أحدهم الطبيب، لكنه أصبح ثقيلاً عليهم؛ لأن قلوبهم أصابها الوهن والران؛ لأنها أحبت الدنيا وأنكب أهلها على سماع الأغاني وحفظ الأشعار التي لا فائدة منها، كما أنهم إنغمسوا بشهوات الدنيا لاهية قلوبهم لا يعلمون متى يأتي الأجل وهم غافلون بما خطط لهم الشيطان فزين لهم أعمالهم التي ظنوا أنها على خير لكنها كانت هباء منثوراً، والله أعلم. فالقرآن هو دستور الأمة وعليه يسير أفرادها متحابين مقبلين على كتاب ربهم وفيه صلاح أعمالهم ونفوسهم التي ما إن رأت الحق زاغت عنه وظنت أن الإبتعاد عن القرآن وهجره هو الخير، ولكن على عكس ذلك فإنها رأت الشر يحيط بها من كل جانب حيث أصبح أفرادها معرضين عن القرآن وذلك بسبب مصائد الشيطان التي نصبها لكل فرد من هذه الأمة حيث أصبح الواحد منهم يجلس أمام لعب الشيطان ساعات طويلة فهنا أصبح الوهن قاتلاً لهم وحائلاً بينهم وبين القرآن؛ وذلك لأن قلوبهم أصبحت شيئاً آخر عند ذلك حرفهم الله تعالى عن ذكره؛ وذلك لأنه يعلم أنها لا تعود إلا بإذنه لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾[٦٦]، فهذه خير دليل على أن الإنسان إذا أحب الخير وأقبل على القرآن فقد يدله الله على الخير، ولكن إذا كان العكس فإن الله تعالى سيبعد قلبه عن ذكره، وهذا ما حصل اليوم حيث أعرض الناس عن كتاب الله تعالى والشواهد كثيرة منها ما يحمله الإنسان في جيبه من أغاني ولعب جعلت الواحد منهم لا يتعدى لعبة إلا ويسجد للصنم، والحالات الأخرى من لهو

ولعب وسهر، ولم يكن الأمر إلى هذا الحد بل وصل إلى أننا نسمع الأغاني في السيارات في كل مكان، هذا كله ليس بالقليل الذي أبعد الناس عن دين الله تعالى، وحرفهم عن رؤية الحق؛ لأنهم ظنوا أن الباطل هو الحق، ولكن الخير كله مع الحق، والقرآن هو الكتاب الذي تسعد به الأمة ولا تشقى، وبه سعادة البشرية واستقرارها، وهو المخرج من ضيق الدنيا ونكدها إلى سعادتها، وهوية الشفاء لكل داء وبه تحيا الروح والنفس، والله أعلم.

ثانياً: الأهداف والمقاصد لهذه الآية:

لقد خص النص القرآني هذه الأمة بأن القرآن نوراً لهم ويهدي للتي هي أحسن، فمن هذه الأهداف هي كالآتي:

(١) إن القرآن يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق، من خلال إصلاح الآباء والأبناء.

(٢) فهو يهدي إلى التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، فإذا كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله، ولو كان هذا العمل متاعاً واستمتاعا بالحياة.

(٣) وكذلك فهو يهدي إلى الموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والإستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الإحتمال[٦٧].

(٤) فالقرآن يقوم علاقات الناس بعضهم ببعض، أفراداً وأزواجاً، ذريات وآباءً، حكومات وشعوباً، دولاً وأجناساً، فهو يقيم هذه العلاقات على الأسس الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى، ولا تميل مع المودة والشنان، ولا تصرفها المصالح والأغراض، يهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم، ونظام المال، ونظام الاجتماع، ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان.

(٥) لقد تبنى القرآن الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها، مع تعظيم المقدسات وصيانة حرمتها، فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووئام.

(٦) فهذه هي قاعدته الأصلية في العمل والجزاء، فعلى الإيمان العمل الصالح يقيم بناءه، فلا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان، فالأول مبتور لم يبلغ تمامه، والثاني مقطوع لا ركيزة له، وبهما معايير الحياة على التي هي أقوم، وبهما معاً تتحقق الهداية بهذا القرآن[٦٨].

"فأما الذين لا يهتدون بهدي القرآن، فهم متركون لهوى الإنسان، والإنسان العجول الجاهل الذي لا يعلم بما ينفعه وما يضره، المندفع الذي لا يضبط إنفعالاته ولو كان من ورائها الشر، فهو المعرض عن التي هي أقوم وبه هدايته وهو القرآن؛ لأنه إتخذ الضلال نوراً له وهداية، فأضله الله عن طريق الإستقامة"[٦٩].

(٧) "لقد سلمت هذه الآية في جميع أطوارها من التخليط بين التقديس البشري وبين التمجيد الإلهي، فلم تنزل إلى حضيض الشرك بحال من الأحوال، فمحل التفضيل هو وسائد الوصول إلى الغاية من الحق والصدق، وليس محل التفضيل تلك الغاية حتى يقال: إن الحق لا يتفاوت، فهذه الآية جاءت تنفس عن المسلمين ما حل ببني إسرائيل من البلاء مما أثار في نفوس المسلمين الخشية من أن يصيبهم ما أصاب أولئك،

فأخبرهم تعالى أن القرآن يعصمهم من ذلك البلاء؛ وذلك لأن هداية القرآن من ملازمات السير نحو الطريق الصحيح، أو للملة الأقوم"(٧٠).

(٨) والمتأمل للقرآن في هديه يجد أن مبدأ الأخلاق في كل تشريع فيه حتى العبادات، ففي الصلاة خشوع وخضوع وسكينة ووقار، وفي الزكاة المروءة والكرم.

(٩) لقد هدى القرآن إلى الحياء وهو من أخص الأخلاق وهو سياج من الرذائل، وهذا مما يؤكد أن الخلق الحسن يحمل صاحبه على الفضائل، ويمنع من الرذائل، وينتج حسن الخلق وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، لذلك إشتملت هذه الآية على الدين كله بأقسامه الثلاثة: الإسلام من صلاة وزكاة، ومن إحسان ووفاء، وصدق، وصبر، وتقوى الله تعالى، إذ هي مراقبة الله تعالى سراً وعلناً، وقد ظهرت نتيجة هذه الأخلاق في الرحمة العامة الشاملة للأمة يوم القيامة، فمكارم الأخلاق رحمة للعالمين في الدنيا، ومنزلة عليا للمؤمنين في الآخرة"(٧١).

لذلك وجب تمسك الذرية بالقرآن؛ لأنه النور الساطع الذي يصلح به شأنهم وتقوى أخلاقهم، ويعينهم على مجاهدة النفس والهوى، والله أعلم.

المطلب السادس: الدعوة للأبناء بأن يكونوا ذرية طيبة.

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾(٧٢)

أولاً: المعنى العام: إن الذرية الصالحة هبة من الله تعالى، لذلك طلب الأنبياء من الله تعالى أن يرزقهم ذريات طيبين صالحين ليكونوا قدوة صالحة لمن بعدهم في خدمة دينهم، وأن صلاحهم قرة لآبائهم، ولكي يبروا بهم إرضاءاً لربهم وخالقهم، فقال إبن كثير عن ذلك: "إن زكريا (عليه السلام) لما رأى أن الله تعالى يرزق مريم فاكهة الشتاء في

الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، طمع في ذلك الأمر وعلم أن الرزق بيد خالقه فطمع في أن يدعو ربه أن يرزقه الولد، بعد أن كان شيخاً كبيراً قد وهن العظم منه، وعلا رأسه الشيب، وكبر سنه، وكانت زوجته في ذلك الحين قد كبر سنها ووهن عظمها، فقد كانت عقيماً لا تلد؛ لأنها كبيرة في السن، لكنه (عليه السلام) لقوة إيمانه، سأل ربه وناداه نداءً خفياً، لحسن ظنه بربه بكمال قدرته تعالى، أن يرزقه ولداً صالحاً إنه سميع الدعاء"(٧٣).

فجاء الطلب بلفظ الهبة؛ لأن الهبة إحسان محض، ليس في مقابله شيئاً، وهو يناسب ما لا دخل فيه للوالد، بكبر سنه، ولا للوالدة؛ لكونها عاقر لا تلد، فكأنه قال: أعطني من غير وسط معتاد، ذرية صالحة تقية نقية في العمل والإصلاح"(٧٤).

"ومن آثار الذرية الطيبة أن تكون صالحة، ولهذا دعا سيدنا إبراهيم (عليه السلام) فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾(٧٥)، "فهذا الدعاء إشتمل على ثلاثة أمور: الأول: أن يكون الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ الحلم، والثالث: أن يكون حليماً، وأي حلم يكون أعظم من ولد كان من الصابرين، فبين أن ولده موصوف بالحلم، وأنه قام مقامه في صفات الشرف والفضيلة، فدل ذلك على أن الصلاح من أفضل الصفات بدليل أن الخليل طلب الصلاح لنفسه، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣﴾(٧٦)، ثم طلبه بعد ذلك للولد فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾، وقد طلبه سليمان (عليه السلام) بعد كمال درجته في الدين والدنيا، فقال: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾(٧٧)، وذلك يدل على أن الصلاح أشرف مقامات العباد"(٧٨).

ثانياً: الأهداف والمقاصد لهذه الآية:

إن هذه الآية احتوت على مقاصد وأهداف تدل على مدى الدعوة إلى الله عز وجل بأن يهب للعباد ذرية طيبة صالحة في المجتمع لغرض إصلاح الأرض بالحق، ومن هذه الأمور نذكر منها:

(١) "إن قوله ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾، أي: من عندك، فهنا أضاف أن تكون الذرية من عند الله تعالى ليكون ذلك الأمر أبلغ وأعظم؛ لأن هدية الكريم عظيمة وجلية تليق بمقام العظيم الكريم، الذي يعطي الصالحين ذريات طيبة صالحة في الأرض، طيبة في أقوالها وأفعالها، وكذلك في أجسامها، فهو متناول للطيب الحسي والمعنوي، فالذرية الطيبة والصالحة يرجى منها الخير في الدنيا والآخرة، فيها صلاح الأمة والمجتمع"[٧٩].

(٢) "لقد جاءت البشارة بأن الولد سيكون (سيداً وحصوراً)، ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[٨٠]، والسيد من ساد غيره وشرف عليه بالعلم والدين والخلق والمعاملة، فالخلق: يشمل كل خلق يسود به الإنسان على غيره من صفات الجود والكرم والشجاعة والإيثار وغير ذلك من الصفات التي تتميز بها الذرية الصالحة، فيكون ذلك جامعاً لصفات الكمال الممكنة في المخلوق، أما الحصور فهو أن يكون حاصراً نفسه عن الأمور التي تفسد الأخلاق، فيكون هذا الولد موصوفاً بصفات الكمال التي دل عليها معنى السيد؛ لأنه مبرأ من النقص وسوء الأخلاق الدال عليه في معنى (حصوراً)، فيكون هذا في الأمر قد جمع له بين النفي والإثبات؛ وذلك لأن الإنسان لا يكتمل بأخلاقه إلا بوجود صفات الكمال مع إنتفاء صفات النقص عنه ليصبح من الصالحين والطيبين، لذلك أعطاه الله ولداً ونبياً من الصالحين؛ لأن النبوة وصف أعلى من الصلاح، لكن هو في جملة الصالحين، فالنبوة بحد ذاتها هي صلاح وزيادة، لقوله تعالى: ﴿وَمَن

يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾[٨١]، فالصالحون في المرتبة الرابعة"[٨٢].

ومن ذلك نرى أن صلاح الآباء هو السبب الرئيسي لصلاح الأبناء، فإن صلح الوالد صلح الولد، ولو اتعظت هذه الأمة بصلاح أبنائها لكان ذلك الأمر على خير كثير ولما سادها هذا الفساد الذي أصاب أركانها بسبب فساد أبنائها، والله أعلم.

(٣) إن بركة الدعاء والصلاح هو الأمر المهم؛ وذلك لأن جميع الخلق مفتقرون إلى الله عز وجل، وحتى الأنبياء لا يستغنون عن الدعاء، في كل أحوالهم؛ لأنه الأساس في العبادة، وهو من أكبر الأسباب.

(٤) إنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل مطلق الذرية؛ لأن الذرية قد تكون سبباً في الفتنة وجلب النكد، لذلك وجب أن يسأل الذرية الطيبة، والتي بها صلاح الفرد والمجتمع.

(٥) وجب على الإنسان أن يأخذ بالأسباب التي تكون بها الذرية الصالحة، والذرية الطيبة، ومنها الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل، وقد ذكر سبحانه وتعالى عن الرجل عندما يبلغ أشده فيقول: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾[٨٣]، وهذا بلا شك يدل على أن صلاح الذرية أمر مطلوب؛ لأن الذرية الصالحة تنفعك في الحياة الدنيا من خلال حمل عبء الحياة، وفي الممات سيدعون لك بالخير الكثير، فإذا انصلحت الذرية صلح سائر المجتمع، وساد به الأمن والأمان[٨٤].

(٦) ومن أهم الأسباب على عدم إصلاح الذرية، وعدم إستجابة الدعاء، وهو أن يكون الإنسان آكلاً للحرام والعياذ بالله، لذلك فإن أكل الحرام من أكبر الموانع في عدم

إجابة الدعاء، وعدم إصلاح الذرية، وهذا يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَـٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾[٨٥]، لذلك فأكل الحرام هو من أكبر الموانع في عدم الإصلاح"[٨٦].

(٧) إن فعل الخيرات والمسارعة إليها هو دليل التقوى، وهو سبب في إصلاح الذرية، لقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾[٨٧]، ويدعون الله في الرغبة والرهبة، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً طيباً فيه صلاحهم وصلاح ذرياتهم.

ومما تقدم نجد أن هذه الأمور التي ذكرناها هي كافية في إصلاح هذه الأمة وإصلاح أفرادها، إذا تمسكوا بدينهم وعملوا الصالحات، فإن المجتمع لا يستقيم أمره إلا إذا صلح أبناءه، وسادت بينهم المحبة والألفة، وساد بينهم الإطمئنان وحب الخير، والله أعلم.

المطلب السابع: تربية الأبناء على أداء الأمانة وتحمل المسؤولية.

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾[٨٨]

أولاً: المعنى العام: لقد أمر الله تعالى بأداء الأمانة؛ لأنها من أسس الإسلام وتعاليمه، فهي أساس الحياة؛ لأنه إذا ضيعت وفقدت ضاع كل شيء وانعدمت كل مفاصل الحياة، لهذا أكد تعالى على أداء الأمانات؛ لأنها من دافع الآباء لتحمل أبنائهم مسؤولية هذا الحمل الثقيل، فأجاب صاحب المنار عن ذلك فقال: "إن الله تعالى أمر بالأمانة وهي ما يؤمن عليه الإنسان من الأمن وطمأنينة النفس، وعدم الخوف، لقوله تعالى:

﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [٨٩]، وهي كل أمانة وجب حفظها، ومنها ما يحفظ كالسر، أو كل ما يدل عليه من قول أو عمل، أو كل ما يحفظ ليؤدي إلى صاحبه سواء كان هو الذي ائتمنك عليه أو غيره لأجله، حيث يسمى ما يحفظ الأمانة ويؤديها حفيظاً أو أميناً ووفياً، ويسمى من لا يحفظها أو لا يؤديها خائناً، ولهذا قدم سبحانه الأمر بأداء الأمانات على الأمر بالعدل؛ لأن العدل في الأحكام يحتاج اليه عند الخيانة في الأمانات التي تتعلق بحقوق الناس والتخاصم إلى الحاكم، والأصل أن يكون الناس أمناء في أداء الأمانات التي توضع عندهم بوازع الفطرة والدين، والخيانة خلاف الأصل، فمن شأنها أنها لا تقع في الأمة المتدنية إلا شذوذاً، وقلما يحتاج إلى العدل في الحكم إذا راعى الناس أماناتهم وأدوها إلى أهلها"[٩٠]، "ومن هذه الأمانات: أمانة الشهادة لهذا الدين، الشهادة له في النفس أولاً، وذلك بمجاهدتها حتى تكون ترجيمة حية في شعورها وسلوكها، حتى يرى الناس صورة الإيمان في هذه النفس، وما يكون قد أدى أمانة الدعوة والتبليغ والبيان، وهي إحدى الأمانات، والشهادة لهذا الدين بمحاولة إقراره في الأرض منهجاً للبشرية، وكذلك يدخل في الأمانة هي أمانة التعامل مع الناس ورد أماناتهم إليهم، وهي أمانة المعاملات والودائع المادية، وأمانة النصيحة للراعي وللرعية، وأمانة القيام بتربية الذرية لتكون صالحة وطيبة، وأمانة المحافظة على حرمات الجماعة وأموالها، وسائر ما يجلوه المنهج الرباني من الواجبات في كل مجالات الحياة"[٩١].

ثانياً: الأهداف والمقاصد لهذه الآية: إن لهذه الآية أهداف ومقاصد نذكر منها:

(١) إن بقاء النوع الإنساني قائم على المعاملات والمعاوضات والصدق في منافع الأعمال، فروح هذه المعاوضة والمعاملة هي في الأمانة، وعدم الخيانة، فإن ضيعت الأمانة وفسدت بين المتعاملين فقد تبطل صلات المعاملة وأنبرت حبال المعاوضة، عند ذلك سيختل نظام المعيشة، ويفضي ذلك بنوع الإنسان إلى الفناء العاجل.

(٢) لقد بين الحق أن الأمانة هي دعامة بقاء الإنسان في الكون، وهي مستقر أساس الحكومات، وباسط ظلال الأمن والأمان والراحة في كل مجالات الحياة، ورافع أبنية العز والسلطان، وهي روح العدالة وجسدها، ولا يكون شيء من ذلك بدونها، فإن فقدت هذه الخلة في الأمة، فلا تكاد تجد إلا آفات جائحة ورزايا قاتلة، وبلايا مهلكة، وفقراً معوزاً، وذلاً معجزاً، ثم لا تلبث بعد هذه الحلة أن تبتلعها الأمم الأخرى.

(٣) كذلك أمر تعالى برد الأمانات إلى أهلها وبالحكم بين الناس بالعدل، ولما كان يدخل في رد الأمانات توسيد الأمة أمر الحاكم إلى أهلها القادرين على القيام بواجباتها بالشكل الصحيح[٩٢].

(٤) أن الأمانة في بادئ الأمر يجب أن تكون مع الله تعالى أولاً، وهي ما عهد إليه حفظه من الإئتمار بما أمره به والإنتهاء بما نهى عنه، وإستعمال مشاعره وجوارحه فيما ينفعه ويقربه من ربه، فالمعاصي التي يفعلها العبد في حياته كلها خيانة لله عز وجل.

(٥) ولا شك فإنها تدخل من باب أمانة العبد مع الناس، وذلك يكن في رد الودائع لأهلها، وعدم الغش في أي شيء من الأشياء، مع حفظ السر لمن إستسره عليه، من الأهل والأصدقاء وغير ذلك، فإن هذا الأمر يدخل في صلاح الأبناء في أداء الأمانات.

(٦) فهذه الآية توصي بتربية الأبناء بما ينفعهم في دنياهم من أمور التربية الحسنة وكسب الحلال، وما ينفعهم في آخرتهم من المواعظ والأحكام التي تقوي بها إيمانهم

وتنفرهم من الشرور وترغبهم في عمل الخيرات، كما يدخل فيها رعاية السر بين الزوجين ألا يفشي أحد الزوجين سر الآخر، مع رعاية أمانات سائر الناس(٩٣).

(٧) "ومن مقاصدها الأخرى أنها دلت على أمانة الإنسان مع نفسه، وذلك بأن لا يختار لنفسه إلا ما هو ألأنفع والأصلح له في الدين والدنيا، وألا يقدم بسبب الشهوة والغضب على ما يضره في آخرته، مع توقي الأسباب من الأمراض بحسب معرفته، وهذا يدل على أن رعاية هذا النوع هو من الأمانة؛ لأن به حفظ الصحة ولا سيما في أيام الأمراض"(٩٤).

(٨) إن خيانة الأمانة من المفاسد التي توعدها الله تعالى بأكثر مما توعد مرتكبي الكبائر؛ لأن مفاسد النكث وخيانة العهود والأمانات هي أعظم من جميع المفاسد التي حرمت لأجلها تلك الجرائم، فما بال كثير من الناس لا يبالون بالعهود ولا يحفظون الأمانات ويرون ذلك صغيراً من حيث إنهم يكبرون من أمر المعاصي التي تعودوا عليها، والإيمان بالله لا يجتمع مع الخيانة والنكث في النفس"(٩٥)، فقال ﷺ: ((" آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ))(٩٦).

(٩) "والأمانة إسم لما يحفظه المرء عند غيره مشتقة من الأمن؛ لأنه يأمنه من أن يضيعها، والأمن الذي يحفظ حقوق من يواليه، وإنما أضيفت الأمانات إلى المخاطبين مبالغة في تفضيع الخيانة، بأنها نقض لأمانة منسوبة إلى ناقضها، وللأمانة شأن عظيم في إستقامة أحوال المسلمين، من خلال إصلاح ذرياتهم على أداء الأمانة، وعدم الخيانة، وما ثبتوا عليها وما تخلقوا بها، وهي دليل نزاهة النفس وإعتدال أعمالها، وقد حذر الإسلام من إضاعتها والتهاون بها، وأشار إلى أن في إضاعتها إنحلال لأمر هذه الأمة، مع تفرق أفرادها، وعدم نشأتهم على خلق الإسلام، فإن خانوا الله ورسوله ونقضوا الوفاء لهم بالطاعة والإمتثال، فقد خانوا الأمانة وعدم الوفاء بأداء ما إئتمنوا عليه، فهذا تنبيه على

الحذر من الخيانة التي يحمل عليها المرء حب المال وهي خيانة الغلول وغيرها، لذلك دأب الإسلام إلى تقبيح الخيانة وعدم الأمانة"[٩٧].

وما نراه أن الأمانة إذا سادت بين أبناء المجتمع ساد الأمن والأمان، وإذا انعدمت بان كل واحد بدأ يخون صاحبه ولا يأتمن عليه فقد حصل الهلاك وانعدمت كل القيم والأصول، فالأمة اليوم إختلت موازينها، وضعفت قيمتها، لتردي وضع أبناءها من خلال خيانة أمانة حمل هذا الدين، فهذا الأمر يستوجب الوقفة الجادة للرجوع إلى دين الله وحفظه من كل الشوائب مع سلامة الأنفس من الضياع، والله أعلم.

المطلب الثامن: دعوة الأبناء إلى التواضع وعدم التكبر على الناس.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾[٩٨]

أولاً: المعنى العام: إن هذه الآية تحمل معاني كثيرة لتربية الأبناء على الطريق الصحيح الذي يرضي الله تعالى؛ وذلك لأن صفة الكبر صفة مذمومة عند الله وعند الناس، لذلك أوصى لقمان (عليه السلام) إبنه بالتواضع للناس وعدم الكبر؛ لأن التواضع من أخلاق الأنبياء، فقال ابن حيان: "إن لقمان (عليه السلام) أوصى ابنه أن لا يولي وجهه عن الناس، كفعل المتكبر، ولكن يقبل عليهم بوجهه من غير تكبر ولا إعجاب؛ لأن التكبر على الناس هي صفة من سوء الخلق وعدم التواضع، كما نهاه أن يذل نفسه من غير حاجة، ولا يسأل سؤالاً من غير حاجة، ولا يتضرع بالفقر، وأخبره أن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور، وهو المتكبر، والفخور، هو الذي يعدد ما أعطى الناس مفتخراً، ومتبجحاً بما أعطى، ولا يشكر الله، ويدخل في الفجور، الفخر بالأنساب، فلما نهاه عن الخلق الذميم، بعد ذلك أمره بالخلق الكريم، وهو القصد في المشي، بحيث لا يبطئ،

كما يفعل المتنامسون والمتعاجبون، يتباطئون في نقل خطواتهم للرياء والمتعاجب يذهب بنفسه للترفع، معجباً بجسمه ونفسه، ولا يسرع، كما يفعل الخرق المتهور، كما أوصاه بعدم رفع الصوت الذي يؤذي السامع؛ لأن أنكر الأصوات كصوت الحمير، فالقصد في المشي، إشارة إلى الأفعال، والغض من الصوت، إشارة إلى الأقوال، فنبه على التوسيط في الأفعال، وعلى الأقوال من فضول الكلام"(٩٩).

"ولهذا فإن في ذلك إشارة عظيمة وحكمة عالية للعباد لغرض عدم الترفع على الغير، مع تجنب الكبر؛ لأن ذلك يكون مهلكة للنفس وتبعث في قلوب الناس الكره للمتكبر، لذلك جاء الأمر بعدم التكبر وعدم إحتقار الناس إذا تكلمت معهم، وأن لا يحتقر الفقراء ليكون الغني والفقير سواء عنده، فلما أمره أن يكون كاملاً في نفسه مكملاً لغيره فكان يخشى عليه أمرين: التكبر على الغير لكونه مكملاً له، والثاني: التبختر في المشي لكونه كاملاً في نفسه، أي: خيلاء فخور على الناس بنفسه، فأوجبه أن يسلك الطريقة الوسطى بين ذلك قواماً، وليكن مشيك قصداً لا تخيلاً ولا إسراعاً، وامشي بالوقار والسكينة، واجعل ميزانك إحترام الآخرين، فذلك عند الله عظيم"(١٠٠).

ثانياً: الأهداف والمقاصد لهذه الآية:

لقد تضمنت هذه المواعظ الحكيمة أهمية عالية في التربية الإيمانية التي تقع على عاتق الآباء تجاه الأبناء، فيقدمون ما أراد الله به خيراً لهم، ويبعدونهم عما نهى الله عنه ورسوله، ومن هذه نذكر منها:

(١) "لقد هدفت الآية إلى بيان حكمة الله في تربية الخلق الثقة بالنفس وعدم الترفع على الناس، فالصعر داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها، والإسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر، وهي حركة الكبر والإزورار، وإمالة الخد

للناس في تعالٍ وإستكبار، والمشي في تخايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس، وهي حركة ممقوتة تغضب الله تعالى، ويمقتها الخلق، وهي تعبير عن شعور مريض بالذات، يتنفس في مشية الخيلاء، مع النهي عن مشية المرح، مع بيان المشية المعتدلة القاصدة، والقاصدة هنا من الاقتصاد وعدم الإسراف، وعدم إضاعة الطاقة في التبختر والتثني والإختيال، والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس وإطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، والإسلوب القرآني يقبح هذا الفعل ويشبهه في صورة منفرة محتقرة بصوت الحمير"[١٠١].

(٢) لذلك فإن هذه التربية تجعل من الفرد شخصاً عزيزاً محترماً في مجتمعه؛ لأنه لا يترفع على غيره من الناس، "وأن لا يعرض بوجهه عنهم إذا كلمهم أو كلموه، إحتقاراً منك لهم، أو إستكباراً عليهم ولكن إجعل جانبك ليناً لهم، وابسط وجهك إليهم، كما جاء في الحديث لقوله ﷺ: ((لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تَشْتُمْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكَ أَجْرُهُ وَعَلَيْهِ وِزْرُهُ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنْ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ وَلَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا))[١٠٢]، لذلك نهى سبحانه عن المشي متكبراً جباراً عنيداً، فإن فعلت ذلك يبغضك الله، وأن الله لا يحب كل مختال معجب بنفسه، فخوراً على غيره"[١٠٣].

(٣) دلت الآية على أن الله تعالى قدم الكمال على التكميل، فقال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ﴾، وفي النهي قدم التكيل على ما يورثه الكمال، فنهى عن التكبر على الغير، والتبختر في النفس؛ لأن من يكون فيه خيلاء وهو الذي يرى الناس عظمة نفسه فخوراً يرى العظمة في عينه، وهو داء أصابه بسبب الكبر[١٠٤].

ولهذا فإن صفة الكبر إذا سادت في هذه الأمة فإنها تجعل أفرادها متعالين لا يحب أحدهم الآخر، فتسود بينهم العداوات وعدم الإطمئنان، لذلك وجب التواضع والتراحم بين أفراد الأمة، والله أعلم.

(٤) لقد حذر لقمان (عليه السلام) إبنه من الكبر؛ لأن الكبر صفة عاقبتها سيئة، وفيها من الوعيد الشديد، لقوله ﷺ: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ))[١٠٥]، "ومن مظاهر التعالي والعجب أيضاً التبختر في المشي، والمرح والبطر وإعجاب المرء بنفسه وإزدراء الناس والإستهانة بهم؛ إذ لا يفعل ذلك إلا جاهل بنفسه وأحواله وإبتداء أمره ومنتهاه، فأنى لإبن آدم الكبر وقد خرج من سبيل البول مرتين، فالمتكبر هو الذي يفتخر بنعم الله عليه إستصغاراً من الناس؛ لأنه ذو نعمة وهم ليس لديهم تلك النعمة، وهذا ظن المتكبر، وذلك مذموم؛ لأنه إنما يستحق عليه الشكر لله على نعمه لا التوصل بها إلى معاصيه، لذلك وعلى هذا الأساس أمر لقمان إبنه بالقصد في المشي؛ وذلك لأن المختال في مشيته لا يسرع فسرعة المشي تنافي الخيلاء والتكبر، وبعد ذلك أمره بخفض الصوت؛ لأن ذلك أقرب إلى التواضع، فرفع الصوت على وجه إبتهار الناس وإظهار الإستخفاف بهم مذموم، فأبان عن قبح هذا الفعل وأنه لا فضيلة فيه؛ لأن الحمير ترفع أصواتها وهو أنكر الأصوات، وأقبحها، فذكر تعالى ذلك لكي يؤدب العباد تزهيداً لهم في رفع الصوت"[١٠٦].

(٥) ومن آثار الكبر التي تؤدي إلى الهلاك هو بطر النعمة كما حصل لقارون فقال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾[١٠٧]؛"لأنه لما أشر وبطر وعتا وتكبر وتجبر خسف الله به وبداره الأرض جزاء على تكبره وعتوه وبطره"[١٠٨].

(٦) ومن آثاره الأخرى أنه يورث العجب، والرياء، والحقد، والحسد، فالعجب يورث الكبر الباطن، والكبر يثمر التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأفعال[١٠٩]، "ولهذا وجب على الآباء صيانة الأبناء من نار الدنيا، فإن في ذلك صيانة من نار الآخرة أولى، فصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوده على التنعم، ولا يحبب له الزينة والرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد، بل ينبغي عليه أن يراقبه من أول أمره"[١١٠].

(٧) "ومن ذلك نسترشد أن لقمان أراد بهذه الوصايا إخراج ابنه من الأوصاف الذميمة إلى السداد في الأوصاف الإنسانية والأوصاف التي هي للملك الذي هو أعلى مرتبة منه، فالمكارم هي صفة الملائكة فإن عدم التبختر والكبر صفتهم، أما الأوصاف التي هي للحيوان الذي هو أدنى مرتبة منه، فإن رفع الصوت إشارة إلى المكارم التي هي صفة الحيوان"[١١١].

(٨) "ومن هذا نرى الإنسان حين يخلوا قلبه من الشعور بالخالق القاهر فوق عباده تأخذه الخيلاء بما يبلغه من ثراء أو سلطان أو قوة أو جمال، بسبب كثرة المال، فتأخذه العزة بالإثم فيطغى، ويتكبر، ولكنه لو تذكر أن ما به من نعمة فمن الله، وأنه ضعيف أمام حول الله، لخفف من كبريائه وخيلائه، ومشى على الأرض هوناً لا حرصاً ولا بطراً؛ لأنه بتطاوله لن يخرق الأرض بكبريائه، فالإنسان بجسمه ضئيل هزيل، لا يبلغ شيئاً مع قوة الله تعالى، لذلك دعا القرآن بترك المرح والخيلاء، فذلك أدب مع الله، وأدب مع الناس، وأدب نفسي وإجتماعي، وما يترك هذه الآداب إلا فارغ صغير القلب صغير الاهتمام، يكرهه الله لبطره ونسيان نعمته، ويكرهه الناس لإنتفاشه وتعاليه، وإحتقاره للناس، لقوله ﷺ: ((مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ))[١١٢]، عند ذلك تنتهي الأمور بالنهي عن ذميم الأفعال والصفات بإعلان كراهية الله تعالى للسيء منها فقال تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ

كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾[١١٣]، فهذه الصفات لا يحبها الله بل يعاقب عليها أشد العقوبة"[١١٤].

(٩) لذلك نرى أن إبليس طلب التكبر فابتلاه الله تعالى بالذلة والصغار والطرد من رحمة الله؛ لأنه عصى الله تعالى بكبريائه وغروره[١١٥].

ولهذا منَّ الله على المسلمين بأنهم إذا تواضعوا رفعهم ورفع شأنهم في الدنيا والآخرة، أما حال هذه الأمة اليوم وحال أبنائها ينذر بخطر كبير؛ لأنهم إشتروا التكبر بالغنى، والإستبداد بالطغيان، وذلك يفضي إلى مفاسد خطيرة قد تحمل من الأبناء وتجعلهم في تدهور؛ لأن الغرور أصابهم وأعمى بصيرتهم؛ لأنهم أنساقوا وراء الشيطان، والله أعلم.

(١٠) إن الكبر صفة لا يحبها الله تعالى لقوله: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[١١٦]، فهذه الصفتين التي ذمها الله تعالى في كتابه كان الأجدر عدم التخلق بهما وذلك لما فيهما من المساوئ، "فالمختال ذو الخيلاء والكبر، وهو من تعظم في نفسه الكبر بحيث لا يستطيع أن يقوم بحقوق الآخرين، وله أنفة من أقاربه إذا كانوا فقراء، ومن جيرانه إذا كانوا ضعفاء فلا يحسن عشرتهم، أما الفخور، فهو المتطاول الذي يعدد مناقبه كبراً وتطاولاً، وهو بذلك يفخر على عباد الله بما أنعم عليه ربه من أنواع النعم فخراً وتعالياً، وأنهما يقومان بالأعمال لأجل الرياء والسمعة، بل لمحض أمر الله تعالى"[١١٧].

(١١) لذلك أراد الله تعالى أن ينبه على التحلي بصفة التواضع، وأن لا يرى الإنسان لنفسه أنه شفوقاً على من أحسن إليه، وأن لا يفخر عليه بنفسه وكبريائه لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ

وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾[١١٨]، ولهذا نفى سبحانه محبته للمتحلي بهذين الوصفين، فإمر تعالى بأن لا يختالوا ولا يفخروا على عباده المؤمنين"[١١٩]، ولهذا وجب تربية الذرية على التواضع وحسن السمت؛ لأن ذلك يبعث على النفوس بعدم التعالى؛ "لأن التعالى يجعل الإنسان يرى نفسه أنه كبير وأنه خير منهم، ولكنه عند الله حقير، لا يعادل جناح بعوضة، وعند الناس مكروه بغيض، الكل يبغضه ويلعنه ويدعون عليه؛ لأنه يفخر عليهم بنعم الله تعالى التي كانت سبباً في كبره وعلوه على الناس فلا تكاد تجد سيء الملكة إلا وجدته مختالاً فخوراً، ولا عاقاً إلا وجدته جباراً شقياً"[١٢٠].

ولهذا أرشدنا النص القرآني إلى صفة المختال الفخور وأنها مبغوضة عند الله تعالى؛ وذلك لأنه إحتقر جميع الحقوق التي وضعها الله عز وجل، وأوجبها للناس، فلا تجد في نفسه معنى عظمة الله وكبريائه؛ لأنه لو وجدها لتأدب وشعر بضعفه وعجزه وصغره، فهو بذلك جاحد لصفات الألوهية، فمن فتش نفسه وحاسبها، علم أنه لا يعينه على القيام بعبادة الله تعالى وبطهره من نزعات الشرك به ومنازعته في صفاته، "ويسهل عليه القيام بوصاياه هذه، وبغيرها إلى سكون النفس ومعرفتها قدرها ببراءتها من قلق الكبر الخبيث التي تظهر آثار تمكنه ورسوخه بالخيلاء والفخر، لذلك فالمختال لا يستطيع عبادة الله تعالى؛ لأن عمله لا يسمح له بعبادة المعبود، وسلطانه الأعلى غير المحدود، فلا تكاد تجد قلبه يخشع، ومن خشع قلبه خشعت جوارحه فلا يكون مختالاً، فالمختال رجل مفتون بنفسه مسحور في عقله وحسه، فلا يرجى منه البر والإحسان، ولكن يتوقع

منه الإساءة والكفران؛ لأنه لا يقوم بحقوق الوالدين، ولا حقوق الآخرين؛ لأنه يشعر بأنه أفضل منهم، ولكنه أسوأ رجل عرفه الإسلام"[١٢١].

وهؤلاء قد يصيبهم داء آخر غير الكبر وهو داء أيضاً خطير على النفس، خطير على غيرهم من الناس، "وهذا الداء هو داء البخل فهم دائماً تجدهم بخلاء إلا في مواضع الرياء والسمعة، فهم يحرضون الناس على البخل، ويكتمون ما آتاهم الله من فضله، فهم ينفقون الألوف في المظاهر والإستلقاء، ومع ذلك وصفهم الله بالبخل، ورياء الناس؛ لأن كلا الوصفين ينبع من نفس واحدة، وهي الشح في أبوب الخير، فهؤلاء لا تجد في أنفسهم خصاصة؛ لأنهم في طبيعتهم لا يحسون ألا بأنفسهم وأموالهم"[١٢٢].

ولهذا نرى أن الذرية إذا تربت على التواضع وحب الخير ساد ذلك في المجتمع فتربى أبناءه، وسادت بينهم المحبة والتآلف، ثم ينتقل ذلك إلى البيوت فتصبح رصينة لا يستطيع أحد أن يخللها؛ لأنها أصبحت متواضعة، أما إذا ساد هذا المرض في هذه الأمة فإنها معرضة إلى الزوال، والبيوت إلى التهالك، عند ذلك ترفع بركتهم، ويسلط عليهم عدوهم، فتنهب خيراتهم، فوجب على الآباء تربية الذرية على باب التواضع وعدم الكبر، وعلى الإنفاق في سبيل الله، وذلك لمنع النفس من البخل والشح الذي يهلك الناس، والله أعلم.

المطلب التاسع: توعية الأبناء على أنهما إبتلاء وفتنة.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨﴾[١٢٣]

أولاً: المعنى العام: لقد أخبر تعالى عباده المؤمنين، بأن أموالهم وأولادهم فتنة لهم في الحياة الدنيا وإختبار، فوجب عليهم الحذر منهم، مع تقوى الله تعالى، والدعوة لهم بالخير، فقال الطبري في ذلك موضحاً لهذا الأمر: "إن الله تعالى أعطى المؤمنون الأموال والأولاد، إختبار وإبتلاء، لينظر كيف هم عاملون أمام هذه الفتن، فإذا سار الإنسان معها بدون تقوى الله فقد خسر ذلك الأمر، أما إذا كانت لديه تقوى الله فإن ذلك سيصلح الذرية ويبارك في الأموال، فالله عنده أجر عظيم"[١٢٤]، "لذلك فالواجب على المؤمن إتقاء خطر الفتنة الأولى بكسب المال من الحلال، وإنفاقه في سبيل الله من البر والإحسان، مع إتقاء الحرام من الكسب والإنفاق، وكذلك إتقاء خطر الفتنة الثانية وهم الأولاد، وبما أوجب الله على الوالدين من حسن تربية الأولاد على الدين والفضائل، وتجنيبهم أسباب المعاصي والرذائل، فإن فتنة الأموال والأولاد عظيمة لا تخفى على أحد، فالأموال عليها مدار المعيشة، وتحصيل الرغائب والشهوات، فهو يتكلف في تحصيلها المشاق، ويكلفه الشرع في إلتزام الحلال والحرام، ويرغبه في القصد والإعتدال، مع الإنفاق على الذرية والأزواج، فالإنفاق والبذل من صفات النفس، ومنها السماحة والسخاء، وأما إذا أمسك، فكان البخل، وهو من أمهات الرذائل، فلكل منهما درجات ودركات، فحب الولد قد يدفع الوالد إلى إقتراف الآثام في سبيل تربيتهم، والإنفاق عليهم، وتأثيل الثروة لهم، فهذا يؤدي إلى البخل، بالزكاة والنفقات المفروضة، والحقوق الثابتة، لذلك فإن فتنة الأولاد أعظم من فتنة الأموال، وأكثر تكاليف مالية ونفسية وبدنية، فالرجل يكسب الحرام، ويأكل أموال الناس بالباطل لأجل أولاده، كما يفعل ذلك بكبائر شهواته، ففتنة الأموال تكون جزءاً من فتنة الأولاد، فالواجب إتقاء خطر الفتنتين"[١٢٥].

ثانياً: الأهداف والمقاصد لهذه الآية: إن لهذه الآية أهداف ومقاصد تدور حول كون الأبناء إبتلاء وفتنة للآباء، ومن هذه الأهداف نذكر منها على النحو الآتي:

(١) إن هذه الآية قد هدفت إلى بيان التحذير الشديد من الله تعالى، حول كون الأولاد فتنة للآباء، وكذلك الأموال، "فهما سبب في الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب أو المحنة، فهذا إختبار لكم، لكي يرى كيف تحافظون على حدوده فيهما؛ لأن في كون الأجر العظيم إشارة إلى ألا يفتن المرءُ بماله وولده فيؤثر محبته لهما على ما عند الله تعالى من الخيرات والنعم، فيذهب فيجمع المال ويحب الولد حتى يؤثر ذلك على نفسه فيترك محبة الله، فذلك هو الخسران المبين"[١٢٦]؛ "وذلك لأنهم يوقعون الآباء في الإثم والعقوبة، ولا بلاء أعظم منهما، فهما بلاء ومحنة، فيهما تخلق العداوة والبغضاء، لذلك حكم عليهما بالفتنة؛ لأن الفتنة غلبت عليهما، فكفا بالمال فتنة، وإنما قدمت الأموال على الأولاد لأنهما أعظم فتنة، لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾[١٢٧]، فالمال هو سبب طغيان العباد"[١٢٨].

(٢) "لقد وهب الله الناس الأموال والأولاد ليبلوهم بهما ويفتنهم فيها، فهي من زينة الحياة الدنيا، لقوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ۝٤٦﴾[١٢٩]، فهذه الزينة قد تكون موضع إبتلاء ليرى الله فيهما صنيع عباده، أيشكر عليها ويؤدي حق النعمة، أم يغفل بها عن ذكر الله، وعن أداء حق الله فيهما، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٣٥﴾[١٣٠]، فالفتنة لا تكون بالشدة والحرمان وحدهما، وأنا تكون بالرضاء والعطاء، ومن الرضاء والعطاء هذه الأموال والأولاد، فعند الله تعالى أجر عظيم لمن يستعلي على هذه الفتنة، فلا يقعد أحد عن تكاليف الأمانة والتضحية لهما، فهذا هو منهج متكامل في الإعتقاد والتصور، والتربية والتوجيه، والفرض والتكليف، فوجب على

الآباء الحذر والإحتياط من أن يخفق في الإمتحان، فينسى أن يدعوا الله لكي يعينه على أداء هذه الأمانة، لثقل التضحية وضخامة التكليف"[١٣١].

(٣) "إن الله تعالى أراد أن يرشد عباده إلى سنته في جعل الأموال والأولاد فتنة لهم، أي: إمتحاناً شديد الوقع في النفس، وتحذيراً لهم من الخروج في أموالهم ومصالح أولادهم عن الحق والعدل، وهذا أصل عظيم في تربية المؤمن نفسه على التزام الحق، وكسب الحلال، وإجتناب الحرام، وإتقاء الطمع والدناءة في سبيل جمع المال وإن كان بطريق الحرام لجلب المعاش للأولاد، فهناك كثير من الناس من يرتكبون المعاصي والدناءة في هاتين الفتنتين، ومنهم من يحرم على أزواجه وأولاده من الإرث هبة للآخرين، فهذه هي الفتنة التي يجب الحذر منها"[١٣٢]؛ لأن الإفتتان بالأموال والأولاد مدعاة لضروب من الفساد، فإن حب المال والولد من الغرائز التي يعرض للناس فيها الإسراف والإفراط، فإذا لم تهذب هذه المحبة بهداية الدين، ولم تشذب بحسن التربية والتعليم، فإن ذلك يؤدي إلى إنقلاب المحبة عداوة وهذا يفضي بدوره إلى المفسدة في تربية الأولاد"[١٣٣].

(٤) "إن هذا النص القرآني جاء ليحذر من الخيانة التي يحمل عليها الإنسان في حبه للمال فيضطر إلى الحرام من أجل أبنائه، فتقديم الأموال في الفتنة والخيانة؛ لأنها فطنة الحمل على الخيانة في هذا المقام، فعطف الأولاد على الأموال لاستيفاء أقوى دواعي الخيانة؛ لأن غرض جمهور الناس في جمع الأموال أن يتركوها لأبنائهم من بعدهم، وقد كثر قرن الأموال والأولاد في التحذير منها في القرآن الكريم، وذلك لكثرة حدوث الفتنة من جراء أحوالهما، مبالغة في التحذير من تلك الأموال وما ينشأ عنها"[١٣٤].

(٥) "وقد صرح تعالى في موضع آخر ينهى المؤمنين عن أن تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكره جل وعلا، وأن من وقع في ذلك فهو الخاسر المغبون في حظوظه، لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾[١٣٥]، وهو الإختبار والإبتلاء، وهو أحد معاني الفتنة في القرآن"[١٣٦].

(٦) "وقد نهى سبحانه عن الإنشغال بالأموال والأولاد بما يلهي عن ذكر الله؛ لأن الأموال مما يكثر من إقبال الناس على إنمائها والتفكير في إكتسابها بحيث تكون أوقات الشغل بها أكثر من أوقات الشغل بالأولاد، كما أنها تشغل عن ذكر الله بصرف الوقت في كسبها ونمائها، وكذلك لكنزها بحيث ينسى ذكر ما دعا الله إليه من إنفاقها، ومن يهتم بهذين الأمرين ويعرض عن محبة الله فهو من الخاسرين"[١٣٧]،

"لذلك أخبر سبحانه عن بعض الأزواج والأولاد بأنهم عدو لكم، ويجوز أن يحمل العداء على الحقيقة فإن بعضهم قد يضمر عداوة لزوجه وبعضهم لأبويه من جراء المعاملة بما لا يروق عنده مع خباثة في النفس وسوء تفكير، فعند ذلك يصبح عدواً لمن حقه أن يكون له صديقاً، وهذه العداوة قد تأتي من إختلاف الدين ومن الإنتماء إلى الأعداء، أي: كالعداوة في المعاملة بما هو من شأنه معاملة الأعداء، لذلك وجب الإحتراس والتوقي وأخذ الحيطة من هذه العداوة، ولكن وجب العفو والصفح وهو أقرب للتقوى[١٣٨]"، لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[١٣٩].

(٧) "وبعد ما ذكر قضايا الأزواج والأولاد وفتنتهم وعداوتهم، وأن منشأ هذه العداوة هو من جانب المال حرصاً عليه أو بخلاً، حرصاً عليه بالسعي إليه بسببهم، فقد يفتن

في ذلك، وشحاً به بعد تحصيله فقد يعادونه فيه، والعلاج الناجح في هذا الأمر كله هو الإنفاق وتوقي الشح، والشح من جبلة النفوس، وهو أن البخل جبلة بشرية، والهداية منحة ربانية، فعلى المسلم أن يغالب بالهداية ما جبل عليه من قوة بشرية، لينال الفوز والفلاح، وأن الإنفاق على الزوجة والأولاد هو من باب القرض الحسن مع الله، وهذا يشعر أن هذه النصوص جاءت من باب إصلاح الأسرة، وهو أن يقبل كل من الزوجين عمل الآخر بالشكر، ويقابل كل إساءة بحلم ليتم معنى حسن العشرة مع الأولاد والأزواج، وأن الإنفاق من الأموال أيضاً يستحق المقابلة بالشكر، والعداوة تقابل بالحلم"(١٤٠).

المطلب العاشر: الحث على الصبر في التعامل مع الناس وعلى ما يصيبهم من أذى.

قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾(١٤١).

أولاً: المعنى العام: يخبر الله تعالى عباده بأن الصبر فيه نجاة لهم من كل مكروه إن صبروا على مشاق الدنيا وما يحصل فيها من بلاء وابتلاء فهو امتحان لهم، فقال السمرقندي: "إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى صبر، فإذا أصابك من ذلك ذل أو هوان أو شدة، فاصبر على ذلك، فإنه من عزم الأمور، يعني: من واجب الأمور، فهذه الآية بياناً لهذه الأمة، وإذناً لهم؛ لأن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ينبغي أن يصبر على ما يصيبه من أذى من الناس، إذا كان أمره ونهيه لوجه الله تعالى، فإن ما أصابه ينبغي أن يجعله لوجه الله تعالى، ويصبر على ذلك، فالصبر به إصلاح الذرية"(١٤٢).

ولهذا أصبح الصبر عنوان الحياة فيه تهون الأمور وتشتد العزائم، ويساعد النفوس على تحمل الشدائد، "فالأمر بالإستعانة بالصبر؛ وذلك لأن الصبر ملاك الهدى، فإن مما يصد الأمم عن إتباع دين قويم الفهم بأحوالهم القديمة مع ضعف النفوس عن تحمل

مفارقتها، فإذا تذرعوا بالصبر سهل عليهم إتباع الحق، لذلك فالإستعانة بالمأمور راجعة لأمرين: الصبر والشكر، وأن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر، ومعظم الفضائل ملاكها الصبر إذ الفضائل تنبعث عن مكارم الأخلاق، والمكارم راجعة إلى قوة الإرادة وكبح زمام النفس عن الإسامة في شهواتها بإرجاع القوتين الشهوية والغضبية عما لا يفيد كمالاً، أو عما يورث نقصاناً، فكان الصبر ملاك الفضائل، ومنه ينبع التحلم، والتكرم، والتعلم، والتقوى، والشجاعة، والعدل، والعمل في الأرض ونحوها إلا وهو من ضروب الصبر، لذلك جعله تعالى سبب الفوز، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾[١٤٣]، فإذا صار الصبر خلقاً لصاحبه هون عليه مخالفة ذلك كله لأجل الحق والبرهان، لذلك ظهر أمر الإستعانة على الإيمان وما يتفرع عنه بالصبر، فإنه خلق يفتح أبواب النفوس لقبول أوامر الله تعالى، لقوله: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾[١٤٤]، وهو بذلك فيه الخير كله"[١٤٥].

ثانياً: الأهداف والمقاصد لهذه الآية: إن أمر الصبر عظيم لذلك خصه تعالى قبل أمر الصلاة؛ لأنه مفتاح كل الخير، وبه ينال صاحبه الاجر العظيم، ومن هذه الأهداف هي كالآتي:

(١) لقد ذكر تعالى أن المؤمنين سيبتلون في أموالهم وأنفسهم، وسيسمعون الأذى الكثير من الناس ومن غيرهم، وأنهم إن صبروا على ذلك البلاء والأذى واتقوا الله، فإن صبرهم وتقواهم من الأمور التي ينبغي العزم والتصميم عليها لوجوبها.

(٢) وقد بين في موضع آخر أن من جملة إبتلاء الناس لهم ولذرياتهم، هو الخوف، والجوع، وأن البلاء في الأنفس والأموال هو النقص فيها، وأوضح فيه نتيجة

الصبر الذي هو من عزم الأمور لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾[١٤٦].

(٣) لذلك فإن تربية الأبناء على خصلة الصبر لا يعطاها إلا صاحب حظ عظيم وبخت كبير، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[١٤٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[١٤٨]، وهو بيان لجزاء الصبر أنه لا حساب له[١٤٩].

(٤) "ولهذا جاء أمر الله تعالى لنبيه ﴿ﷺ﴾ أن يأمر أهله وخاصته من الأبناء وغيرهم بالصلاة، وأن يصبر عليها، أي: يستنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، وأن يصبر هو عليها"[١٥٠]، فقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[١٥١].

(٥) إن الله تعالى أوصى عباده بالصبر عند تسلط الأعداء عليهم وإذا أرادوا إستباحة أرضهم وديارهم فقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[١٥٢]، "وفي هذا الموضع أوصاهم بالصبر، لعل الله يرفع عنهم هذا البلاء، ويهلك عدوهم، ويجعلهم أصحاب جاه وسلطان، ليبلوكم في ما آتاكم، وأنتم في لباس الجاه والسلطان، هل ترعون حق الله تعالى، أم تفسدون في الأرض كما يفسد من أصحاب الجاه والسلطان، وهذا ما تكشفه الأيام، وأنها لتكشف عن أسوأ عباد الله، وأكثرهم بغياً وفساداً، إذا لبستهم نعمة، ووقع لديهم الجاه والسلطان"[١٥٣].

ولهذا أوصى تعالى بالصبر، فليكن ذلك الأمر في الأبناء لكي يستقوون على الحياة بالصبر؛ لأن في الصبر تقضى كل الصعاب وتهون كل الأمور بتقوى الله وبالصبر، والله أعلم.

المطلب الحادي عشر: الدعوة للأبناء بالثبات وعدم الكفر.

قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾[١٥٤]

أولاً: المعنى العام: بعد أن ضرب الله تعالى مثلاً للعلاقة بين الآباء والأبناء، بين الرجل الصالح، وبين الولد الذي أختار طريق الكفر، لكن هذا لم يمنع الوالد من طلب النجاة له عسى الله أن ينقذه مما هو فيه، لكن عمله الغير صالح منعه من الإيمان، وقد أجاب صاحب الضلال: "أن في هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر نبي الله (عليه السلام)، فلا يكاد يجد إبنه مع المؤمنين؛ لأنه كان في معزل عنهم وليس معهم، وهنا تستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة لفراق إبنه الشارد، ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾ ولكن البنوة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة، والفتوة المغرورة لا تقدر مدى الهول الشامل الذي سيحيق به من كل جانب، ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[١٥٥]، لكنه لم يكن يدرك أنه لا مفر له من العذاب، فجاء نداء الأبوة المدركة لحقيقة الهول العظيم، وحقيقة الأمر الذي ينذر بالعذاب والعقاب للكافرين، فأرسلت النداء الأخير: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[١٥٦]، فإنه لا ينفعك من أمر الله إذا جاء لا يؤخر، فلا جبال ولا مخابئ ولا حامِ ولا واقِ، ولا عاصم من أمره إلا من رحم الله، فهذا قلب الوالد على ولده يحن عسى أن يرجع عن غيّه وعناده، لكن قد تغيرت صفحة المشهد، فإذا بأمر الله قد جاء وعلا الموج الغامر ليبتلع كل شيء، وينتهي كل شيء بفراق الأب الصالح، مع الأبن الكافر فجاء النداء، ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [١٥٧]، ونوح الوالد الملهوف يبعث

بالنداء تلو النداء، وابنه المغرور يأبى إجابة الدعاء، والموجة الغامرة تحسم الموقف في سرعة خاطفة، وينتهي كل شيء وكأن لم يكن هناك دعاء ولا جواب"[١٥٨].

ونرى أن هذا يدل على أن الآباء أكثر وعياً من الأبناء وهم يعلمون صالح أبنائهم أين يكمن، لكن الأبناء مع غرورهم بزهو الحياة الدنيا قد يخسرون آبائهم بسبب إصرارهم على الكفر، وحبهم للحياة، فهذا يدل على أن الأمر لله في إصلاح الذريات، وليس الأمر بيد الأب، لكن صلاح الأب قد يصلح الذرية بدعائه وصلاحه، والله أعلم.

ثانياً: الأهداف والمقاصد لهذه الآيات: لقد احتوت هذه الآيات على عدد من الأهداف والفوائد التي تهم الآباء والأبناء، ومنها:

(١) إن هذه النصوص القرآنية جاءت تحمل في طياتها التحذير من الكفر وعدم الإيمان، وتبين قدرة الله تعالى على إهلاك أهل الكفر وإنتقامه منهم، فهذا التحذير لأهل الإيمان أن يكونوا مع المؤمنين.

(٢) إن هذه النصوص تسلية للخلق في فساد أبنائهم وإن كانوا صالحين؛ لأن الأدب أدب الله لا أدب الآباء ولا الأمهات، والخير خير الله لا خير الآباء ولا الأمهات[١٥٩].

(٣) لن يتحقق من العناد والاستكبار فائدة أو مصلحة لمن يتصف بهما، فقد أغرق الله إبن نوح؛ لأنه كان كافراً، ولم تفده الجبال شيئاً، فلا عاصم من أمر الله إذا جاء ليمحق الكافرين.

(٤) لقد ظن نوح (عليه السلام) أن ابنه مؤمناً، لكن إبنه يسّر الكفر ويظهر الإيمان، فأخبر تعالى نوحاً بما تفرد من علم الغيب بأن إبنه عمله غير صالح.

(٥) إن رابطة الدين أقوى من رابطة النسب، ولا علاقة للصلاح والتقوى بالوراثة والأنساب، لذلك نجى الله المؤمنين من قوم نوح، وأهلك إبنه وزوجته كانت من الكافرين، فإبنه كان مخالفاً في النية والعمل والدين(١٦٠).

(٦) إن نوحاً (عليه السلام) لم يعصِ ربه فيما سأله عن حال إبنه، وإنما كان خطأ في الإجتهاد، بنية حسنة، وقد عد هذا ذنباً؛ لأنه ما كان ينبغي لأمثاله من أهل العلم الصحيح الوقوع في هذا الخطأ غير المقصود، وترك الأفضل والأكمل، وحسنات الأبرار سيئات المقربين، لذلك عاتبه الله وأمره بالاستغفار.

(٧) لقد ثبت أن العدل الإلهي مطلق، لا محاباة فيه لنبي أو ولي، وأنه تعالى يجزي الناس في الدنيا والآخرة بإيمانهم وأعمالهم، لا بأنسابهم لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾(١٦١)، فمن يغتر بنسبه فهو جاهل بشرع الله ودينه.

(٨) إن غيرة الله على حرماته اقتضت تحذير الأنبياء من الأخطاء ولو كانت غير مقصودة، لكنه تعالى أراد أن يرفع نوح عن مقام الجاهلين(١٦٢).

(٩) "إن هذه الآية تنص صراحة على أن قرابة العقيدة والإيمان هي القرابة الحقيقية والوحيدة، ولها الإعتبار بين الاقرباء في تكافلهم وتعاونهم، مع تحديد مصيرهم المشرك، فإذا إنتفت هذه القرابة بينهم كانت قرابة الدم المادية في الدرجة الأخيرة من الإعتبار، أو لا إعتبار لها بالمرة؛ لأن طابع البنوة الصحيح هو أن الإبن وارثاً سر أبيه، يرث منه خير خصاله، وأفضل خلاله، والروحية منها قبل المادية، فتتصل به سلسلة الصلاح ولا تنقطع، وتنتقل الأمانة عن طريقه من جيل إلى جيل، وهكذا يصبح إبنك الروحي في العقيدة أو أخوك في الإيمان هو إبنك الحقيقي وأخوك الحق الذي تعتمد عليه بعد الله تعالى، لذلك طالب الله المؤمنين أن يكون الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما"(١٦٣).

(١٠) وفي هذا إشارة إلى حرص الرسل (عليهم السلام)، وشفقتهم، وأن كانت مع رؤية الآيات العظام والأمور الهائلة، ليست سبباً للين القلوب وخضوع النفوس مالم يأذن الله، فهذا استضعاف نوح لإبنه مذكراً له بالبنوة مع تحضير التحنن والتراؤف بحال إبنه، لكن فظاظة إبنه مع عدم سماعه نداء والده، وما رأى من الآيات العظام ولا تناهى شيء منها، فهذا يدل على تقحم الجهل بدلاً من العلم، وتعسف الشبهة بدلاً من الحجة[١٦٤].

(١١) وأيضاً في هذا إشارة إلى أن عدم إستجابة دعوة الآباء قد يؤدي إلى خسارة الأبناء فقد توهم ولد نوح المفتون أنه يستطيع أن ينجو من الغرق باللجوء إلى أسباب النجاة العادية، لكنه خسر خسراناً مبيناً[١٦٥].

(١٢) وكذلك فإن هناك من الأبناء قد يصدر منهم فساد فهذا يؤدي إلى أذية الآباء، وهذا كما فعلى موسى (عليه السلام)، مع الغلام الذي قتله بوحي من الله تعالى، أن تركيب عقل الغلام وتفكيره أنه عقل شاذ وفكر منحرف، وقد طبع عليه بأسباب معتادة من إنحراف طبع وقصور إدراك، وذلك من آثار مفضية إلى أن الغلام ينشأ طاغياً كافراً، فأراد الله اللطف بأبويه ليحفظ إيمانهما وسلامة العالم من هذا الطاغي، ففي هذا مصلحة للدين بحفظ أتباعه من الكفر، وهو مصلحة خاصة بحفظ الدين، ومصلحة عامة؛ لأنه حق الله تعالى فهو كحكم قتل المرتد[١٦٦].

المطلب الثاني عشر: الدعوة للذرية بالإستجارة من الشيطان.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾[١٦٧]

أولاً: المعنى العام: لقد قص علينا القرآن أحسن القصص حول إصلاح الذرية، ومنها أن يعصمها من الشيطان الرجيم؛ لأنها لو سلمت من كيد الشيطان لكان لها ذلك الامر خيراً، فقال ابن عثيمين: "إن أم مريم طلبت من الله تعالى أن يرزقها ذرية معصومة من الشيطان، وأن يكون الذي في بطنها محرراً من خدمتها لخدمة المسجد الأقصى، وكان من عاداتهم أن يفعلوا ذلك، أي: أن الإنسان منهم ينذر ولده ليكون قائماً بخدمة المسجد الأقصى تعظيماً له، وقولها: ﴿مَا في بَطْني﴾، يشمل أنها لو وضعت واحد أو إثنين، ذكراً أو أنثى، فتقبل مني هذا التقرب إليك، بنذر هذا الحمل الذي نذرته ليقوم بخدمة بيتك، إنك سميع الدعاء، وبعد أن وضعتها أنثى اعتذرت إلى ربها أنها أنثى وليس ذكر، ولكنه تعالى عالم بما وضعت، وليس الذكر كالأنثى في واجبات الحياة، لكنها إرادة الله تعالى، لذلك فقد سلمت أمرها إلى ربها، لكنها استعاذت بالله تعالى أن يعصم هذه الطفلة وذريتها من كيد الشيطان، والشيطان أبو الجن لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾[١٦٨]، فهو عدو لا يريد من عدوه إلا ما فيه هلاكه، ولهذا إستعاذت بربها عز وجل لهذه الأنثى من أن يغويها الشيطان ويضلها، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾[١٦٩]، فتقبلها الله تعالى، وأحسن نباتها في كما الآداب والعفة والحشمة وغير ذلك من سائر الأخلاق، ويسر لها من يكفلها من الرسل، فهذا دليل على

أن الإنسان إذا كان لديه كافل مستقيم صالح فقد يكون سبباً في صلاحه وإستقامته، إما إذا كان فاسقاً كان العكس، لذلك لا يجوز ترك الذرية بيد اشخاص لا يصونونهم ولا يصلحونهم، وقد يتسلط عليهم الشيطان، لكن دعوة الآباء للأبناء بالصلاح هو خير دليل لصلاحهم واستقامتهم"[١٧٠].

ثانياً: الأهداف والمقاصد لهذه الآية: إن لهذه الآية خصائص عظيمة تصب في صالح الأبناء، ومن خلالها نستخلص أهم الدروس والعبر وهي على النحو الآتي:

(١) إن هذا النص القرآني بين لنا أن الولد يكون في خدمة والده من أم وأب، لكنها قالت: ﴿مُحَرَّرًا﴾ من الخدمة بحيث لا أستخدمه ولا أستغل حياته.

(٢) وكذلك هدفت إلى بيان عدم الإعجاب بالنفس؛ لأن الإنسان إذا عمل عملاً لا يعوله على الله ويقول: أنا عملت، بل هو يعمل ويكد ويشعر أنه مفتقر إلى الله عز وجل في قبول ذلك العمل، فقالت: ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾، والإنسان إذا علم أنه مفتقر إلى ربه في العمل وفي قبول العمل زال الإعجاب عنه، وإذا زال ذلك الإعجاب صار حرياً على الله تعالى أن يقبل منه ويجزيه أحسن الجزاء.

(٣) إن الأم تتكلف في الحمل، وتحمل أعباء ذلك الحمل الشديد، ولولا لطف الله لما استطاعت أن تحمل أي امرأة، لكن هذا يدل على أن الله هو المتفرد بكل شيء[١٧١].

(٤) عظم حق الأم على ولدها؛ لأن من أحسن إليك وتحمل أعباء ذلك التعب كان أحق الناس ببرك، ولهذا جعلها النبي ﷺ أحق الناس بحسن الصحبة.

(٥) اعتذار الإنسان لربه إذا وقع الأمر خلاف ما أراد، دليل على أنه أو كل أمره إلى خالقه ومدبر أمره.

(٦) التوسل إلى الله بربوبيته، وإثبات التفضيل في أوصاف الله تعالى.

(٧) فهذا دليل على عدم استواء الذكو ر والإناث، لا في الطبيعة ولا في الأخلاق ولا في المعاملة، ولا في الأحكام، فالذكر ليس كالأنثى.

(٨) وهذا أيضاً يدل على تسمية المولود حين الولادة، مع وجوب إعاذة الإنسان أبناءه بالله عز وجل من الشيطان الرجيم؛ لأن الشيطان عدو لبني آدم، فوجب الاستعاذة منه.

(٩) جواز الدعاء للمعدوم بإصلاح الذريات، وأن يغفر لهم وللأبناء، مع بيان قدرة الله تعالى في كل شيء(١٧٢).

ثالثاً: السبل التي تساعد في التخلص من شر الشيطان وكيده: إن الله تعالى ابتلى آدم وذريته بعداوة الشيطان لهم، فهناك أسباب تدعو للتخلص من شر الشيطان نذكر منها:

(١) الدعوة للإيمان والعمل الصالح، فإذا إستقامت الذرية لم يتمكن هذا العدو من جعل سلطانه عليهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾(١٧٣).

(٢) تربية الأبناء على البعد عن المعاصي والذنوب؛ لأن ما يصيب الإنسان من مصائب، إلا وكان الشيطان مسلط عليه، فيأخذه إلى عمل المعاصي، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾(١٧٤).

(٣) دعوتهم إلى الاعتصام بالله تعالى، والالتجاء إليه بالاستعاذة من شر عدوهم، مع التيقن أن كيد الشيطان ضعيف، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾[١٧٥]، فليس له سلطن على الذين آمنوا وأحسنوا واتقوا ربهم.

(٤) الدعوة لهم بالتمسك بالقرآن، فهو الحصن الحصين من كيد الشيطان، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾﴾[١٧٦].

(٥) التربية الصالحة تبعث في الإنسان عدم الخوف من مكائد الشيطان، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[١٧٧].

(٦) توعية الأبناء على عدم السير وراء خطوات الشيطان، كحب الدنيا وشهواتها، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾﴾[١٧٨].

(٧) لقد خص القرآن بدعوة عباد الله إلى عبادته وحده، وعدم عبادة الشيطان، فقال تعالى: ﴿* أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾﴾[١٧٩].

(٨) التيقن بأن رحمة الله ولطفه بنا أكبر من كيد الشيطان، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾[١٨٠].

(٩) تربيتهم بالدوام على ذكر الله، فإنه الباعث على طرد الشيطان، لقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩﴾[١٨١].

المطلب الثالث عشر: قيام الآباء بتحذير الأبناء من الفرقة والحسد والتباغض.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾[١٨٢].

أولاً: المعنى العام: لقد أوجب تعالى على الآباء بتحذير أبنائهم من الحسد بين الإخوان إذا كان أحدهم صاحب نعمة؛ لأن ذلك قد يسبب بينهم العداوة والبغضاء، فيكثر بينهم السوء والقتل، "لقد بين الله تعالى أن يعقوب (عليه السلام)، كان يحب يوسف وأخيه حباً شديداً فحسده إخوته على ذلك، فعندما قص يوسف الرؤيا على أبيه فقال له: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك؛ وذلك لأنهم يعلمون تأويلها فقد يحاولوا الكيد بك حسداً من عند أنفسهم، خاصة إذا علموا أنهم سيخضعون لك، فاحذرهم واحذر من شرهم، فإن ذلك قد يوجب حقداً وغضباً منهم عليك، خاصة أن الشيطان للإنسان عدو مبين، فإنهم لو أقدموا على الكيد لكان ذلك الأمر مضافاً إلى الشيطان، ثم إن يعقوب (عليه السلام) قصد بهذه النصيحة أموراً أخرى، أولها: التحذير من الحسد، ومن الأخوة إذا علموا أن أخاهم أفضل منهم، وثانيهما: أن هذه الرؤيا دالة على شرف كبير وعز وكبر لأمور عظام، وثالثهما: الاحتباء بإتمام النعمة، وإتمام النعمة بسعادات الدنيا والآخرة، فسعادات الدنيا الإكثار من الأولاد والأتباع والتوسع في المال والجاه والحشم وإحلاله في قلوب الخلق وحسن الثناء والحمد، أما سعادات الآخرة: فالعلوم الكبيرة والأخلاق الفاضلة والإستغراق في معرفة الله تعالى، ولكن وجب أن يكون المراد بإتمام النعمة هو النبوة التي لزم حصولها لآل يعقوب"[١٨٣].

ولهذا أشار سبحانه إلى عداوة الأخوة، فوجب الحذر من ظهور النعمة على أحد، وقد ينتقل ذلك إلى الأصدقاء، "فيفعلوا لأجلك كيداً مشيناً راسخاً لا تقدر على الخلاص منه، فيفيد هذا التضمين معنى الكيد والاحتيال من الأخوة، فإن الشيطان قد يحملهم على ذلك الأمر؛ لأنه عدو الإنسان والإنسانية مظهر للعداوة مجاهر بها، ولهذا حذر (عليه السلام) ولده من الحسد والعداوة التي ستحصل له إذا علم أحد بنعمة الله عليه؛ لأن الله اجتباه وهداه إلى سراط مستقيم"(١٨٤).

ثانياً: الأهداف والمقاصد لهذه الآية: إن الحسد من الأمور التي إذا سادت بين الناس فقد تودي إلى عواقب خطيرة، لذلك حذر منها سبحانه من خلال هذا النص القرآني، ومن جملة الأهداف والمقاصد نذكر منها على النحو الآتي:

(١) الحذر من الشيطان أن يغري الأخوة على حسد أخيهم، إن هو قص الرؤيا عليهم، فإنهم في ذلك يبغون به الغوائل، ثم بعد ذلك يناجوه العداوة، يطيعوا فيه الشيطان؛ لأن الشيطان لآدم وبنيه عدو لهم، فقد أبان العداوة حتى في ذريته، لهذا وجب تحذير الأبناء من الخوف من الحسد والتباغض فيما بينهم، فهذا حسد أخوة يوسف لأخيهم لما رأوا حب أبيه له(١٨٥).

(٢) وجوب عناية الوالدين بأولادهم وتربيتهم على المحبة والعدل، واتقاء وقوع التحاسد والتباغض فيما بينهم، ومنه إجتناب تفضيل بعضهم على بعض بما يعده المفضول إهانة له ومحاباة لأخيه بالهوى، وقد نهى ﴿ﷺ﴾ عن ذلك مطلقاً، ومنه سلوك سبيل الحكمة في تفضيل من فضل الله تعالى، بالمواهب الفطرية كمكارم الأخلاق، والتقوى، والعلم، والذكاء.

(٣) الحذر كل الحذر من مكائد الشيطان وتزينه للمؤمن المتدين معصية الله تعالى، فهو لا يزال ينزغ له ويسول، ويعد ويمني ويؤول، حتى يرجح داعي الإيمان، أو

يجيب داعي الشيطان، وهذا الذي غلب على إخوة يوسف فحصل الذي حصل من جراء الحسد وطاعة الشيطان، ولكن بعد رأفة مخففة لحكم الإنتقام، وهو مقتضى الحكمة التي أرادها الله تعالى في إيصالها لهذه الأمة في تربية الأبناء(١٨٦).

(٤) إن قول يعقوب لإبنه تحذير له مع ثقته به بأن التحذير لا يثير في نفسه كراهة لإخوته؛ لأنه وثق منه لكمال العقل، وصفاء السريرة، ومكارم الخلق، ومن كان هذا حاله كان سمحاً، عاذلاً، معرضاً عن الزلات، عالماً بأثر الصبر في رفعة الشأن، ولذلك قال لإخوته: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾(١٨٧)، ففي هذا إشارة إلى أن الصبر مفتاح كل خير، حتى وإن كاد الأخوة لأخيهم(١٨٨).

(٥) الاجتهاد في قوة الطلب إلى كتمان النعمة أمام من يخشى منه حسداً وكيداً، لقوله ﷺ: ((اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ))(١٨٩)، وهذا لا يكون داخلاً في معنى الغيبة؛ لأن يعقوب (عليه السلام)، حذر يوسف من إخوته(١٩٠).

(٦) إن هذه الآية تؤكد على أن العين حق(١٩١)، لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾(١٩٢).

(٧) وجب الأخذ بأسباب الاحتياط والنصيحة مع العلم بأن ذلك لا يغني من الله شيئاً قدره تعالى، فإن مراد الله خفي عن الناس، لكنه تعالى أمر بسلوك الأسباب المعتادة، ولكن الناس لا يعلمون تطلب الأمرين فيهملون أحدهما، فمنهم من يهمل أن الأسباب الظاهرية لا تدفع أمراً قدره الله تعالى وعلم أنه واقع، ومنهم من يهمل الأسباب وهو لا يعلم أن الله أراد في بعض الأموال عدم تأثيرها، لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ

أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾[١٩٣]، ولكن أكثر الناس في جهالة عن وضع هذه الحقائق موضعها، ولا يخلو من مطيع لإحداهما"[١٩٤].

(٨) ومن آثار حسد إخوة يوسف أنهم وصفوا أباهم بأنه في ضلال مبين لمحبته ليوسف (عليه السلام)، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾[١٩٥]، فهذا القول حسداً منهم ليوسف وأخيه لما رأوا ميل أباهم إليهم وكثرة شفقته عليهم، فوصفوه بالضلال البين في إيثاره حب يوسف علينا مع صغره ولا نفع فيه، ونحن ننفعه في مصالح الدنيا من أمر المعاش، وليس المراد من ذكر الضلال، الضلال عن الدين، إذ لو أرادوا ذلك لكفروا به، ولكنهم أرادوا به الخطأ في أمر الدنيا وما يصلحها.

(٩) إن فعل إخوة يوسف هو محض الحسد، والحسد من أمهات الكبائر، وكذلك نسبة أبيهم إلى الضلال وهو محض العقوق، وهو أيضاً من الكبائر، وكل ذلك قادم في عصمة الأنبياء"[١٩٦].

(١٠) ومن آثار الحسد الأخرى هو التفكير بالقتل، وهذه طامة كبرى للحسد وجب الحذر منها، لقوله تعالى: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾[١٩٧]، "فهذا الذي يزاحمكم من محبة أبيكم لكم، أقتلوه وأبعدوه عن وجه أبيكم، ليخلوا لكم ذلك وحدكم، أو تلقوه في الأرض، وتكونوا من بعد إعدامه قوماً صالحين، ويخلوا لكم وجه أبيكم، لذلك فقد إجتمعت في خصال الحسد من الأبناء على أمر عظيم من قطيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل، وخطره عند الله مع حق الوالد على ولده، ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه على كبر سنه ورقة عظمه، مع مكانه من الله

فيمن أحبه طفلاً صغيراً، وبين إبنه على ضعف قوته وصغير سنه وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه، فقد احتملوا أمراً عظيماً بسبب الحسد"[١٩٨].

ولهذا وجب توعية الأبناء وتحذيرهم من الحسد؛ لأنه يأكل الحسنات، ويقتل الأبناء، فقد قادهم الحسد إلى القتل والتخلص من الأخ، ليحوزوا على قلب والدهم ومحبته الكاملة لهم، "وهذه آية من عبر الأخلاق السيئة وهي التخلص من مزاحمة الفاضل بفضله لمن هو دونه فيه، أو مساويه، بإعدام صاحب الفضل، وهي أكبر جريمة لإشتمالها على الحسد، والإضرار بالغير، وإنتهاك ما أمر الله بحفظه"[١٩٩].

وهذه نظرة الى الحسد كيف دفع الأخوة على الإصرار على فعل الذنب وعدم الخشية من ذلك الأمر، لكن نار الحسد تأبى إلا أن تحرق المحسود؛ لأنه في نعمة أفضل منهم، فأرادوا حسده وقتله.

(١١) إن الحسد أدى إلى الكذب على أبيهم، والكذب خصلة سوداء في وجه الكاذب، لقوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[٢٠٠].

ومن هذا يتبين أن الحسد يؤدي إلى إشاعة الجرائم، وذلك يدفع الحاسد إلى الانتقام من عباد الله حتى ولو كانوا أنبياء، وهذا أمر خطير وجب التوعية منه لغرض الخلاص من شره ومن شر أعوانه، والله أعلم.

المطلب الرابع عشر: اختيار الصحبة الصالحة للأبناء وأن يكونوا من المخلصين الصالحين.

قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾[٢٠١]

أولاً: المعنى العام: لقد أوصى القرآن بالدعوة للأبناء بأن يكونوا صالحين مصلحين لغيرهم من أجل إقامة شرائع الدين، كما أوصاهم الابتعاد عن الأصدقاء الغير صالحين، لغرض صيانتهم من الإساءة، فقال الرازي في هذا الموضع: "أنه لما هاجر إبراهيم (عليه السلام) إلى الأرض المقدسة أراد الولد، أي: هب لي ولداً صالحاً يعينني في ديني ودنياي، لذلك إشتمل الدعاء على ثلاثة أشياء: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ الحلم، وأنه يكون حليماً، وأي حلم أعظم من ولد حين عرض عليه أبوه الذبح، فاستسلم لذلك الأمر، فكان من الصابرين، فبين أن ولده موصوف بالحلم، وأنه قائم مقامه في صفات الشرف والفضيلة، وأعلم أن الصلاح أفضل الصفات؛ لأن إبراهيم (عليه السلام) طلب الصلاح لنفسه فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣﴾[٢٠٢]، وقد طلبه سليمان (عليه السلام)، بعد كمال درجته في الدين والدنيا، فقال: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾[٢٠٣] وذلك يدل على أن الصلاح هو هدف القرآن لغرض صلاح الآباء والأبناء، وهو من أشرف المقامات للعباد"[٢٠٤]؛ "وذلك لأن نعمة الولد تكون أكمل إذا كان صالحاً فإن صلاح الأبناء قرة عين الآباء، ومن صلاحهم برهم بوالديهم"[٢٠٥].

ولكن هذا الأمر فيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر، فقد يلد البر الفاجر، والفاجر البر، فهذا ليس قياس على صلاح الذرية، وعلى أن فساد الأعقاب لا يعد غضاضة على الآباء، وأن مناط الفضل في ذلك هو خصال

الذات، وما اكتسب المرء من الصالحات، وأما كرامة الآباء فتكمله للكمال وباعث على الإتسام بفضائل الخلال، وهذا فقد يكون في الأبناء محسن، ومنهم ظالم لنفسه، فالصالحين هم أولياء الله، فوجب الصلاح في كل شيء"[٢٠٦].

ثانياً: الأهداف والمقاصد لأمر الصلاح: إن الذرية الصالحة هي هدف الإسلام، وهدف الآباء؛ لأن ذلك يزيد من روابط المجتمع مما يجعلهم مصلحين صالحين، وأن الأرض ستعمر بالصلاح لذلك نذكر من أهداف الصلاح على النحو الآتي:

(١) إن الإصلاح له شأن كبير في عمارة الأرض من الفساد، فوجب الدعاء بإصلاح الأبناء وأن يكونوا صالحين، لقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[٢٠٧]، وهو أن يكون ولداً صالحاً؛ لأنه خير ما يقال في الرجل الخير أنه رجل صالح، فهذا سليمان (عليه السلام) قال: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[٢٠٨]، لذلك فإن الأنبياء لهم قدراً من الصلاح لو إنتقص لإنتفت النبوة، فهذا القدر بالنسبة إليهم يجري مجرى حفظ الواجبات بالنسبة إلينا، فطلب الولد الصالح وهو أن يكون قادراً على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع إلى تعليم الدين، وضبط مصالحهم يرجع إلى التأديب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[٢٠٩].

(٢) ولهذا فإن الصلاح ضد الفساد، وكل ما لا ينبغي أن يكون فهو فساد، سواء كان ذلك في العقائد، أو في الأعمال، فإذا كان كل ما حصل من باب ما ينبغي أن يكون، فقد حصل الصلاح، فكان الصلاح دالاً على أكمل الدرجات[٢١٠].

(٣) إن الله تعالى وصف الأنبياء بأنهم من الصالحين؛ وذلك لأنهم أعرضوا عن الدنيا، مع الزهد الشديد، وترك مخالطة الخلق[٢١١].

(٤) فهؤلاء لم يكونوا صالحين في أنفسهم فحسب، بل كانوا دعاة صلاح، وأئمة الهدى، يدعون الناس إلى الخير، ويهدونهم إلى الفلاح، فقد عملوا بالصالحات، منها إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وكانوا لربهم عابدين خاشعين[٢١٢]؛ وذلك لأن الله تعالى أصلح نفوسهم، وجعلهم هادين للناس بعد أن جعلهم صالحين في أنفسهم، فإن من صلح ليكون قدوة للناس في دين الله تعالى فالهداية محتومة عليه مأمور بها ليس له أن يخل بها أو يتثاقل عنها، وأول ذلك أن يهتدي بنفسه؛ لأن الانتفاع بهداه أعم والنفوس إلى الاهتداء ويشمل هذا شؤون الإيمان وشعبه وآدابه[٢١٣].

(٥) فقد أمر تعالى بالإصلاح في كل ميادين الحياة، وذلك لغرض الحفاظ على الأبناء، وعلى هذه الأرض ببقاء الصلاح فيها، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[٢١٤].

(٦) ومن مظاهر الفساد في الأرض هو السرقة بالمكيال والميزان، لقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾[٢١٥]، لذلك وجب النهي عن تقرب الأبناء إلى فعل مثل هذا الأمر، فإن ذلك فساد في الأرض.

(٧) وكذلك وجب النهي عن الإسراف في المال؛ وذلك لأن المال وكثرته هو سبب الفساد في الأرض وعدم صلاحها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾[٢١٦]

(٨) النهي عن مصاحبة الأشرار؛ لأنهم سبب في الإفساد في الأرض، لقوله تعالى: ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةًۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[٢١٧]، وهم

الذين يفسدون في كل مظاهر الحياة، من خلال التقرب إلى مسالك الشيطان، من غناء، وشرب الخمر، وإلى التحلي بالأخلاق الذميمة التي تغضب الله تعالى، فقال إبن عاشور: "جاء النهي عن ثلاث مراتب من مراتب الإفساد، وهو العمل المعروف بالإنتساب إلى المفسد، وعمل المفسد وإن لم يكن مما إعتاده، مع تجنب الإقتراب من المفسد ومخالطته، لذلك وجب سد الذرائع الموجبة للفساد، وسد الذرائع من أصول الإسلام"[٢١٨].

(٩) ومن عنايته تعالى أنه دعا المسلمين إلى تربية أبنائهم على عدم الإفساد في الأرض، "وذلك ليكون صلاحهم منزهاً أن يخالطه فساد، فإنهم إن أفسدوا في الأرض فقد أفسدوا مخلوقات كثيرة، وأفسدوا أنفسهم ضمن ذلك الفساد، وهذا دأب القرآن لئلا يقع الناس في اليأس أو الأمن، والإفساد في كل جزء من الأرض هو إفساد لمجموع الأرض، وقد يكون بعض الإفساد مؤدياً إلى صلاح أعظم مما جره الإفساد من المضرة، عند ذلك يترجح الإفساد إذا لم يتمكن تحصيل صلاح ضروري إلا به"[٢١٩]، وهذا يدل على أن الإصلاح هو أمر الإسلام الذي أمر بتطبيقه على وجه الأرض، لكي تعمر الأرض بالصالحات، وتكثر البركات، وتزداد الذريات، ويربى الأبناء على الإصلاح الذي يرضي ربنا تبارك وتعالى، وهذا جانب مهم في حياة الأبناء من أجل بقاء النوع الإنساني وهو يعمر الأرض بالإصلاح، والله أعلم.

المطلب الخامس عشر: وصايا الآباء للأبناء التي يوجب التحلي بها وعدم التخلي عنها:

(١) "إعلام الأبناء بقدرة الله تعالى، وهي الغاية التي من خلالها يمكن أن يفهموها، لقوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾[٢٢٠]؛ فالخردلة: إن الحس لا يدرك لها ثقلاً، ولا ترجح ميزاناً، أي: لو كان للإنسان رزق مثقال حبة من خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هو رزقه، أي: يا بني لا تهتم بالرزق، ولا تنشغل في البحث عن الرزق فيأخرك عن أداء الفرائض، وقد دلت هذه الآية بأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وقد يكون أنه أراد من ذلك الأعمال، المعاصي والطاعات، أي: إن تكون حسنة أو خطيئة مثقال حبة يأت بها الله، فلا تفوت الإنسان المقدر وقوعها منه"[٢٢١].

(٢) ضرورة نهي الآباء أبنائهم من معاشرة ومصاحبة الأشرار من أهل الكفر والشرك، وذلك لكي يحفظوا أنفسهم من الانحراف والهلاك، لقزله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾[٢٢٢]، "وهذه هي شفة الأنبياء على أولادهم، مذكرين لهم بالبنوة مع تحضير التحنن والترحم، ولكن فظاظة الأبن مع عدم سماعه النصح جعلته من الكافرين الذين كانت أعمالهم غير صالحة، فلا عاصم من أمر الله تعالى إذا جاء"[٢٢٣]، "وقد حذر سبحانه من الشرك فقال: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤﴾[٢٢٤]، "أي: لا في إعتقادهم، ولا في مجالستهم، ولا في الإلتقاء بهم، فهذا أفرض الواجبات عليّ؛ وذلك لأن معصية الشرك توجب الخلود في النار"[٢٢٥].

(٣) كما ينبغي على الآباء الاجتهاد في حث أبنائهم على الإستقامة فيما يأمرون به من الأعمال الصالحة، والحذر من الله تعالى، لقوله تعالى: وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾(٢٢٦).

وقال في موضع آخر: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾﴾(٢٢٧)، "وهو تعالى بصير بعباده وما يصدر منهم من أعمال، من بر وفجور، وهو مجازيهم عليها، ويحفظها لهم، ثم تعرض عليهم يوم القيامة، فهناك الحسرة والندامة"(٢٢٨).

(٤) التأكيد على الأبناء بالاستعانة بالله في كل الأمور التي يعيشها الإنسان في الحياة الدنيا، لقوله ﷺ: ((يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ))(٢٢٩).

(٥) لذلك وجب اعلامهم بأن الحياة الدنيا ما هي إلا لهو ولعب، فلا يوجب الانشغال بها وحبها، فإن حب الحياة مجلب للشقاء والنكد، لقوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾(٢٣٠)، "فالذي يقبل على الباطل للذة يسيرة زائلة فيه يلزمه الإعراض عن الحق، فالإقبال على الباطل لعب، والإعراض عن الحق لهو، فالدنيا لعب وإقبال على الباطل، ولهو فهي إعراض عن الحق، وهي خداعة تدعو النفوس إلى الإقبال عليها والاستغراق فيها"(٢٣١).

(٦) دعوة الأبناء إلى الإيمان بالبعث والنشور، وهو أعظم إحسان من الوالدين للأبناء لما فيه من سعادة الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ

ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾[٢٣٢]، "آمن وصدق بالبعث، وهو دعاء عليه بالثبور، والمراد الحث والتحريض على الإيمان بيوم القيامة، وأن هناك يبعث الإنسان، فيجازى على أعماله، فإن كانت صالحة فله الخير، وإن كانت غير صالحة فله الشر"[٢٣٣].

وهذا يدل على حرص الآباء على هداية الأبناء من الانزلاق في الضلالة والهلاك، كما يدل على صبر الآباء على عقوق أبنائهم وغلظتهم، لكنهم في الآخر يحبون الخير لأبنائهم، كما وجب تحذير الأبناء من الإنجراف تحت مسمى العقائد الفاسدة التي تبثها وسائل الإعلام المتهالكة التي تحاول سحب الأبناء إلى الفساد والظلم، وهذا بدوره يؤدي إلى هلاك الأمة.

(٧) ومن الوصايا الأخرى للآباء لأبنائهم هو عدم اليأس من رحمة الله، ولا القنوط؛ لأن ذلك يبعث على الكفر، وأما الثقة بالله فهو له منزلة عالية تؤكد على ثبات المؤمن الموقن بالله تعالى، لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[٢٣٤]، "إن المؤمن من منَّ الله عليه بخير يرجوه في البلاء، ويحمده في الرخاء، وإن اليأس من رحمة الله لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن إله العالم غير قادر على الكمال، أو غير عالم بجميع المعلومات، أو غير كريم، وكل واحدة من هذه توجب الكفر، وأن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافراً"[٢٣٥].

(٨) وهناك آيات أخرى تدعوا الأبناء إلى الإبتعاد عن سوء الظن، وعدم التجسس على الآخرين، وكذلك الإبتعاد عن الغيبة والنميمة، مع تقوى الله تعالى، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ

تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[٢٣٦]، أي: "لا تتبعوا الظن، ولا تجتهدوا في طلب اليقين في معايب الناس، مع وجوب حفظ عرض المؤمن في غيبته؛ لأن الاغتياب شبه بأكل لحم الأخ، وأن عرض المؤمن أشرف من لحمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه ستر عرضهم؛ لأن ذلك ألم، وأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو، لذلك فإن الاغتياب كأكل لحم الآدمي ميتاً"[٢٣٧]، ولقوله ﴿ﷺ﴾: ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا))[٢٣٨]، "ومحل التحذير والنهي إنما هو التهمة التي لا سبب لها يوجبها، كمن يتهم بالفاحشة أو يشرب الخمر مثلاً ولم يظهر عليه ما يوجب ذلك، فيقع له خاطر التهمة ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه، لذلك نهى تعالى عن ذلك الأمر"[٢٣٩].

(٩) وهنا أشار القرآن إلى جملة أخرى من الوصايا التي تهم الآباء حول تربية أبنائهم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾[٢٤٠]، "والحلاف هنا من كان كثير الحلف في الحق والباطل، يوقع نفسه في المهالك ولا يعلم، والمهانة هي القلة والحقارة في الرأي والتميز، وإنما كان مهيناً؛ لأنه يمشي في الكذب، والكذاب حقير عند الله وعند الناس، لذلك أمر تعالى بالإبتعاد عن الحلف والكذب؛ لأنهما صفتان ذميمتان، ثم أوصى تعالى بالإبتعاد عن ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾[٢٤١]، وهو العياب الطعان، الذي يهمز الناس أي: يذكرهم بالمكروه وأثر ذلك يظهر العيب، والنمام هو الذي يمشي بالنيمة بين الناس ليفسد بينهم، ويوقع العداوة فيما بينهم، ثم أخبر تعالى بصفة أخرى وجب الإبتعاد عنها في قوله: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾[٢٤٢]، والمناع للخير هو البخيل الذي يمنع أهل الخير من الخير وهو الإسلام، وكونه معتدياً؛ لأنه ظلوم يتعدى الحق ويتجاوزه فيأتي بالظلم ويمكن حمله على جميع الأخلاق الذميمة، وأنه نهاية في جميع القبائح والفضائح المنبوذة التي يبغضها تعالى"[٢٤٣].

ثم أشار سبحانه إلى صفة إن تربى عليها الأبناء فقد تودي إلى فساد النفس، وإلى التطبع بالأخلاق الذميمة، فقال تعالى: ﴿عُتُلٍّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣﴾[٢٤٤]، "والعتل: هو ذم الخلق، أي: فاحش الخلق، لئيم النفس، الغليظ الجافي، شديد الخصومة، الفظ العنيف، والزنيم ولد الزنا الملحق بالقوم في النسب وهو ليس منهم، وهذا يدل على أن هذين الوصفين وهو كونه عتلاً زنيماً فمن أشد معايبه؛ لأنه كان جافياً غليظ الطبع قسا قلبه وإجترأ على كل معصية، والغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الولد، وإذا صلحت صلح الولد"[٢٤٥]، ولهذا وجب توعية الأبناء لهذه الأمور التي قد تعصف بالأمة فتغير من طباع الخلق فيودي ذلك إلى فساد الدين، وأن هذه الأمور ليست من مصلحة الأمة فوجب تلافي هذه الذنوب لغرض الحفاظ على الأبناء من فوات الأوان.

(١٠) ومن الواجبات الأخرى على الآباء هو تحذير الأبناء من نار جهنم، وما هي الأسباب التي توصل إلى النار، من أجل ألأخذ بالأسباب لتلافي هذه الأمور، لقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢﴾[٢٤٦]، "أي: ما الذي اوقعكم في النار، فذكروا أربعة أسباب هي أصول الخطايا وهي: أنهم لم يكونوا من أهل الصلاة فحرموا أنفسهم من التقرب إلى الله، فقال تعالى: ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣﴾[٢٤٧]، وأنهم لم يكونوا ممن يطعم المسكين، وذلك إعتداء على ضعفاء الناس بمنعهم حقهم من المال، لقوله تعالى: ﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤﴾[٢٤٨]، كما أنهم كانوا يخوضون خوضهم المعهود الذي لا يعدو عن تأييد الشرك وأذى الرسول ﴿ﷺ﴾ والمؤمنون، فقال تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥﴾[٢٤٩]، وكذلك تكذيبهم بالجزاء فلم يتطلبوا ما ينجيهم، وهذه كناية عن عدم إيمانهم، سلكوا بها طريق الأطناب المناسب لمقام التحسر والتلهف على ما فات، لقوله: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦﴾[٢٥٠]، فهذه الآيات تشير إلى أن الأبناء من المسلمين إذا أضاعوا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فهم مستحقون حظاً من سقر على مقدار إضاعتهم

هذه الأمور والواجبات، وعلى ما أراد الله من معادلة حسناته وسيئاته، وظواهره وسرائره، وقبل الشفاعة وبعدها، وقد حرم هؤلاء المجرمون من أن تنفعهم شفاعة الشافعين"[٢٥١].

(١١) ومما أوصى به القرآن من الوصايا المهمة التي تعين الآباء على تربية أبنائهم على الطريق المستقيم هو تحذيرهم من التقرب إلى الفاحشة، لقوله تعالى: ﴿* قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾[٢٥٢]، "وهذه وصية من الله تعالى، وهي التي بها قوام الأسرة، وقوام المجتمع، وقوام الأبناء، وهي قاعدة تتجلى بالعفة والطهارة، وذلك بالإبتعاد عن الفاحشة ظاهرها وخفيّها؛ لأنه لا يمكن قيام الأسرة، ولا إستقامة مجتمع، في وحل الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فإنه لا بد من تربية الأبناء والأسرة لغرض طهارة ونظافة وعفة تقوم عليها أواصر المجتمع، وأواصر الأسر، والذين يحبون أن تشيع الفاحشة هم الذين يحبون أن تتزعزع قوائم الأسر، وأن ينهار المجتمع، فقتل النفس فاحشة، وأكل مال اليتيم فاحشة"[٢٥٣]، "والشرك بالله أعظم الفواحش، أما فاحشة الزنا فهي جريمة ذات مقدمات وملابسات كلها فاحشة مثلها، فالتبرج، والتهتك، والإختلاط المثير، والكلمات والاشارات والحركات والضحكات الفاجرة، والإغراء والتزين والاستثارة، كلها فواحش تحيط بالفاحشة الأخيرة، وهذا كله مما يحطم جدار الأبناء والأسر، وينخر في جسم الجماعة، فوق ما يلطخ ضمائر الأفراد، ويحقر من اهتمامهم؛ ولأن هذه الفواحش ذات إغراء وجاذبية، فوجب النهي عن الاقتراب إليها، سداً للذرائع، واتقاء للجاذبية التي تضعف الإرادة، وهذه كلها مرتبطة بحياة الأسر وبحياة المجتمع، فهذه الصورة تهيء للأبناء بالابتعاد عن كل خلق ذميم"[٢٥٤].

(١٢) وهناك أمر آخر يجعل المجتمع في ضياع، والأسر في تهالك، وهي تقرب الأبناء من الهلاك ألا وهو أكل الربا، فقد حذر منه تعالى فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَـٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠﴾[٢٥٥]، "وهذا النهي جاء من أجل إبعاد المسلمين وأبنائهم عن الكسل في استثمار أموالهم، والجائهم إلى التشارك والتعاون في شؤون الحياة، فيكون تحريم الربا هو البعد عن الكسل، مع تجويز الربح من التجارة والشركات، ولو كان كثيراً تحقيقاً لهذا المقصد"[٢٥٦].

وهذه دعوة للأبناء بالتجرد من كل القيم الفاسدة التي تودي بهم إلى الضياع، فما نهى عنه القرآن إلا وهو يؤذي إلى الطريق الصحيح الذي به صلاح الأمة والمجتمع، والله أعلم.

(١٣) إن الأبناء أمانة في أعناق الآباء إن هم أصلحوا أنفسهم فقد صلح أبنائهم، فإن استقاموا على الدين فقد استقام الأبناء على الدين، فإن كانوا محسنين للناس بالخير ولأنفسهم كان حرياً على الله تعالى أن يجعل أبنائهم محسنين في كل شيء، وأن لهم جنات النعيم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦﴾[٢٥٧]، "فهذا هو فريق المتقين، الشديد الحساسية برقابة الله لهم، ورقابتهم هم لأنفسهم، هؤلاء في جنات ونعيم، لما أعطاهم من فضله وإنعامه عليهم، جزاء ما أسلفوا في الحياة الدنيا من عبادة الله كأنهم يرونه، ويقين منهم بأنه يراهم، ويصور إحسانهم بصورة خاشعة، رفافة حساسة، فهم الإيقاظ في جنح الليل والناس نيام، لقوله تعالى: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾[٢٥٨]، المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والإسترحام لا يطمعون في النوم إلا قليلاً، ولا يهجعون إلا يسيراً[٢٥٩]، يأنسون بربهم في جوف الليل، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فلا يثقلهم النوم، فهذه الخصال

الثلاث هي بعض من الإحسان في العمل، وهذا كالمثال لأعظم إحسانهم، فإن ما ذكر من أعمالهم دال على شدة طاعتهم لله ابتغاء مرضاته ببذل أشد ما يبذل على النفس وهو شيئان: أولهما راحة النفس في وقت اشتداد حاجتها للراحة وهو الليل كله وخاصة آخره، إذ يكون فيه قائم الليل قد تعب واشتد طلبه للراحة، وثانيهما المال الذي تشح به النفوس غالباً، وقد تضمنت هذه الأعمال الأربعة أصلَي إصلاح النفوس وإصلاح الناس، وإصلاح الأبناء على الاستقامة على دين الله وعلي التقوى، وذلك جماع ما يرمي إليه التكليف من الأعمال، فإن صلاح النفس تزكية للباطن والظاهر، ففي قيام الليل إشارة إلى تزكية النفس باستجلاب رضى الله عز وجل، وفي جعلهم الحق في أموالهم للسائلين نفع ظاهر للمحتاج المظهر لحاجته، وفي جعلهم الحق للمحروم نفع المحتاج المتعفف عن إظهار حاجته الصابر على شدة الاحتياج"[٢٦٠]، وهذه الخصال العظيمة إن تربى عليها الأبناء فذلك خير كثير للأمة والمجتمع، والله أعلم.

(١٤) ثم بعد ذلك نذهب إلى جانب آخر مهم وهو تعضيد معنى الأخوة بين الأبناء؛ لأن ذلك يقوي روابط العلاقة بينهم، ويبعث على التناصر والتآلف فيما بينهم، وهذه الوحدة تجعل في قلوب الأعداء الخوف منهم، لقوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾[٢٦١]، "لقد بين تعالى معنى الأخوة في التعاون على الأمر والتظاهر عليه مع مخالصة الود وزوال التهمة له مزية في تأثير الدعاء إلى الله تعالى، فكان (عليه السلام)، واثقاً بأخيه هارون فسأل ربه أن يشدد به أزره حتى يتحمل عنه ما يمكن من الثقل في الإبلاغ، فطلب أن يجعل له وزيراً وأن يجعله ناصراً له؛ لأنه لا اعتماد إلا على القرابة، لذلك طلب أن يعينه أخيه على ذكر الله، وهم لا يريدون بهذه الطاعات إلا رضا الله، كما أنها استعانة على أمور النبوة، وأن يعينه على قضاء مصالحه، لذلك قيد الدعاء بهذا الأمر إجلالاً لربه، وتفويضاً

له"[٢٦٢]، "ومن فوائد هذا التناصر والتعاضد بين الأخوة والأبناء هو دعوة كل منهما تشتمل على التعريف بصفات الله وتنزيهه فهي مشتملة على التسبيح، وفيها حث على العمل بوصايا الله تعالى لعباده، كما فيها إدخال الأمة في حضرة الإيمان والتقوى، من حيث ذكر الله وإبلاغ أمره ونهيه، فلا جرم كان في تحصيل ما دعا إليه هو الإكثار من ذكر الله، والتعاون على أداء الرسالة، والتقليل من الانشغال بضروريات الحياة، إذ يمكن أن يقتسما العمل الضروري لحياتهما فيقل زمن اشتغالهما بالضروريات، وتتوفر الأوقات لأداء الرسالة، وتلك فائدة عظيمة لكليهما في التبليغ، لذلك علم (عليه السلام)، أن في دعوته فتنة الداعي فسأل الإعانة على الخلاص من تلك الفتنة"[٢٦٣]، ومن شدة فرعون وطغيانه ومنعه الأمة من مفارقة ضلالهم، فكان التسبيح والذكر عوناً لهم في محنتهم، كما فيه تفويض الأمر إلى الله تعالى وهو أعلم بصلاحهم وصلاح أبنائهم"[٢٦٤].

ولهذا فإن هذه العوامل التي إستعان بها الأخ وأخيه، وابتدأت بانشراح الصدر، ثم بتيسير الأمور، ثم بيان فصاحة اللسان، ثم المؤازرة بين الأخوان، وهذا كله يعتمد على صفاء الصدور وانشراحها بتقوى الله تعالى، ومن هذا يتبين أن التعاضد بين الأخوة والأبناء له دور كبير في النصر على الأعداء، والله أعلم.

"ومن هنا استجاب الله دعوته فقال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾[٢٦٥]، فجعل الأخ بمنزلة الرباط الذي يشد به، ويؤيده بفصاحته، ويعينه به ويمده، ويجعل لهما مهابة في قلوب الأعداء ورعباً منكم على أعدائكم، ولكم من الله سلطان بمعنى التسلط على القلوب والنفوس، فلا يصل أحد إليكم"[٢٦٦].

(١٥) فإن هذا الوصف الجميل لمعنى الأخوة هو درس نابع من قوة العزيمة والإصرار على التكاتف والتراحم بين الأبناء ضد الأعداء، وهذه الدروس هو تربية لهذه

الأمة على مر الأزمان والعصور، وبعد هذا الدرس وجب تربية الأبناء على مسألة إكرام الضيف لقوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦﴾[٢٦٧]، "وهذا لما أتى به من آداب الضيافة، وما أتو به من آداب الضيافة، فالإكرام أولاً فمن جاءه ضيف قبل أن يجتمع به، ويسلم أحدهما على الآخر، وهذا من أنواع الإكرام وهو اللقاء الحسن، والبشاشة المطلقة بوجه الضيف، والتهيؤ له ثم السلام على الضيف على الوجه الحسن، كما وجب اختيار الأجود من الطعام"[٢٦٨].

"وهذه إشارة إلى معانٍ عديدة منها: التلطف مع الضيف في العبارة وعرض حسن، وأدب الكلام، حيث جاء بالطعام من حيث لا يشعرون وبسرعة، كما وجب عدم الامتنان على الضيف؛ لأنه جاء بأجود ما وجد من ماله، وهو عجل سمين، كما ساق لنا النص أمراً آخر وهو تقريب الطعام للضيف ووضعه بين أيديهم، ولا يجوز أن يأمرهم بأمر يشق على الضيوف، بل يكون على سبيل العرض أو التلطف"[٢٦٩].

(١٦) إبلاغ الأبناء أن الذرية الطيبة هبة من الله تعالى لقوله: ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥﴾[٢٧٠].

(١٧) كما وجب الإشعار إلى أن الملائكة تصلي وتستغفر للذرية الطيبة وللأبناء الطيبين لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨﴾[٢٧١].

وهذه العبر والدروس هي إصلاح للأبناء على طريق الاستقامة نحو الأفضل، ومن ناحية الثبات على الدين، مع ثبات على الأخلاق الحسنة.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، يعلم السر وأخفى، وما بطن في الصدر، وما زاغ البصر وما طغى، لقد جاءنا من ربنا الهدى، نوراً وضياء لنا ولأبنائنا للبقاء على الهدى، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم النتائج:

(١) إن الآباء هم الركيزة الأساسية في حياة الأبناء، فإذا صلح الآباء صلح المجتمع كله.

(٢) إن المجتمع إذا تربى أبناءه على الأخلاق الحميدة ساد وعلا شأنه، وساد في الإسلام أيام الصالحين.

(٣) التأكيد على ثبات الأبناء على الدين، وإقامة الصلاة، والصبر، وأداء الأمانة، وعدم الكبر، والتواضع للناس.

(٤) إن هذه المراتب التي خص بها القرآن الأبناء هي من صميم الحياة والتي يصبوا لها كل مسلم من أجل الحفاظ عليهم.

(٥) إن الدعوة لها أثر كبير في حياة الأبناء؛ لأنها هي سبب النجاة من العذاب.

(٦) التأكيد على هذه الصفات التي دعا بها الأنبياء لأبنائهم فمنهم من آمن ومنهم من صد عنه.

التوصيات:

(١) أوصي بدراسة آيات القرآن التي تخدم مصالح الأبناء من أجل السلامة من الوقوع في المفاسد.

(٢) كذلك أوصي الأبناء بالتحلي بالأخلاق الحسنة في المجتمع.

(٣) التمسك بآداب القرآن الكريم وما جاء به من وصايا.

الهوامش

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٢.
(٢) جامع البيان: ٣/ ٩٤ – ٩٩.
(٣) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٣١٨ – ٣١٩.
(٤) تفسير الرازي: ٤/ ٦٤ – ٦٨.
(٥) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ١/ ٣٩٠ – ٣٩٣.
(٦) التحرير والتنوير لأبن عاشور: ٧٢٧/١.
(٧) سورة البينة: الآية ٥.
(٨) حقائق التفسير للسلمي: ٢/ ٤١٠ – ٤١٢.
(٩) تفسير ابن كثير: ٨/ ٤٣٨.
(١٠) البحر المديد لأبن عجيبة: ٧/ ٣٣٥ – ٣٣٦.
(١١) فتح القدير للشوكاني: ٥٨٠/٥.
(١٢) تفسير المنار: ٩/ ٤٦٦ – ٤٦٧.
(١٣) التفسير القرآني للخطيب: ١٦٤٤/١٦.
(١٤) سورة إبراهيم: الآية ٤٠.
(١٥) احياء التراث للبغوي: ٣/ ٤٤ – ٤٥.
(١٦) تفسير حدائق الروح للهرري: ٤٢٦/١٤.
(١٧) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.
(١٨) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٥٣ – ٢٥٥.
(١٩) مجموع الفتاوى لأبن تيمية: ٧٥٣/١٠.
(٢٠) تفسير المنار: ١١١/١.
(٢١) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٤/٦.
(٢٢) ينظر: المصدر السابق: ٥٩/١٠.
(٢٣) أهمية الجانب العقدي والعبادي في بناء الشخصية المسلمة عند الامام ابي زهرة، مثنى محمود إبراهيم: مجلة مداد الآداب: ص٧١٤ | العدد الثالث وثلاثون.
(٢٤) أهمية الجانب العقدي والعبادي في بناء الشخصية المسلمة عند الامام ابي زهرة، مثنى محمود إبراهيم: مجلة مداد الآداب: ص٧١٤ | العدد الثالث وثلاثون.
(٢٥) التحرير والتنوير: ٢٠/ ٢٥٧ – ٢٥٩.
(٢٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠/ ٢٥٨- ٢٦٠.
(٢٧) سورة مريم: الآية ٥٥.
(٢٨) سورة طه: الآية ١٣٢.
(٢٩) تفسير ابن كثير: ٢١٣/٥.
(٣٠) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٧/٥.
(٣١) سورة هود: الآية ٨٧.
(٣٢) تفسير المنار: ١١٨/١٢.
(٣٣) سورة لقمان: الآية ١٧.
(٣٤) البحر المحيط: ٣٠٢/٦.
(٣٥) سورة لقمان: الآية ١٣.
(٣٦) سورة الاسراء: الآية ٧٠.

(٣٧) مفاتيح الغيب: ٢٥/ ١١٩ – ١٢٠.
(٣٨) التحرير والتنوير: ١٥٥/٢١.
(٣٩) سورة التحريم: الآية ٦.
(٤٠) سورة البقرة: الآية ١٢٨.
(٤١) سورة التحريم: الآية ٦.
(٤٢) تفسير الرازي: ٤/ ٥٤ – ٥٥.
(٤٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٣.
(٤٤) التحرير والتنوير: ١٦٨/٩ – ١٧١.
(٤٥) سورة إبراهيم: الآية ٣٥.
(٤٦) سورة البقرة: الآية ١٢٨.
(٤٧) البحر المحيط: ١/ ٦٢٠ – ٦٢١.
(٤٨) سورة الزمر: الآية ٦٥.
(٤٩) سورة الزمر: الآية ٦٦.
(٥٠) تفسير السعدي: ١/ ٧٢٩.
(٥١) سورة النساء: الآية ١١٦.
(٥٢) تفسير إبن كثير: ٣٦٦/٢.
(٥٣) سورة الإسراء: الآية ٩.
(٥٤) بحر العلوم: ٢/ ٣٠٣.
(٥٥) تفسير السلمي: ١/ ٣٨٣.
(٥٦) التحرير والتنوير: ١٥/ ٤٠ – ٤١.
(٥٧) زهرة التفاسير: ٨/ ٤٣٤٢.
(٥٨) سورة طه: الآية ١٠٠.
(٥٩) تفسير القرآن العظيم: ٢٧٧/٥.
(٦٠) أضواء البيان للشنقيطي: ٤/ ٩٥ – ٩٦.
(٦١) سورة الفرقان: الآية ٣٠.
(٦٢) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير: ٦/ ٩٨ – ٩٩.
(٦٣) في ظلال القرآن لسيد قطب: ٥/ ٢٥٦١.
(٦٤) أضواء البيان للشنقيطي: ٤٨/٦.
(٦٥) سورة محمد: الآية ٢٤.
(٦٦) سورة الأنفال: الآية ٢٣.
(٦٧) في ظلال القرآن: ٢٢١٥/٤.
(٦٨) ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٢٢١٥.
(٦٩) في ظلال القرآن: ٢٢١٥/٤.
(٧٠) التحرير والتنوير: ١٥/ ٤٠ – ٤١.
(٧١) أضواء البيان: ٨/ ٢٤٩ – ٢٥١.
(٧٢) سورة آل عمران: الآية ٣٨.
(٧٣) تفسير القرآن العظيم: ٣١/٢.
(٧٤) تفسير الألوسي: ١٣٩/٢.
(٧٥) سورة الصافات: الآية ١٠٠.
(٧٦) سورة الشعراء: الآية ٨٣.
(٧٧) سورة النمل: الآية ١٩.

(٧٨) تفسير الرازي: ٣٤٥/٢٦.
(٧٩) تفسير القرآن الكريم لأبن عثيمين: ١/ ٢٣٢ – ٢٣٣.
(٨٠) سورة آل عمران: الآية ٣٩.
(٨١) سورة النساء: الآية ٦٩.
(٨٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٢٣٥ – ٢٣٧.
(٨٣) سورة الاحقاف: الآية ١٥.
(٨٤) تفسير العثيمين: ١/ ٢٣٦ – ٢٣٨.
(٨٥) سورة المؤمنون: الآية ٥١.
(٨٦) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٢٣٨ – ٢٤٠.
(٨٧) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.
(٨٨) سورة النساء: الآية ٥٨.
(٨٩) سورة يوسف: الآية ٦٤.
(٩٠) تفسير المنار: ٥/ ١٤٠ – ١٤٣.
(٩١) في ظلال القرآن: ٦٨٨ – ٦٨٩.
(٩٢) تفسير المنار: / ١٤٣ – ١٤٦.
(٩٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥/ ١٤٢ – ١٤٣.
(٩٤) تفسير المنار: ١٤٣/٥.
(٩٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٢/٣.
(٩٦) اخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق: ١٦/١، برقم (٣٣).
(٩٧) التحرير والتنوير: ٩/ ٣٢٣ – ٣٢٤.
(٩٨) سورة لقمان: الآية ١٨.
(٩٩) البحر المحيط: ٨/ ٤١٦ – ٤١٧.
(١٠٠) اللباب في علوم الكتاب: ١٥/ ٤٥٠ – ٤٥١.
(١٠١) في ظلال القرآن: ٢٧٩٠/٥.
(١٠٢) أخرجه النسائي: كتاب الزينة، باب الإختلاف على أبي إسحاق: ٤٣٢/٨، (٩٦١٢).
(١٠٣) تفسير إبن كثير: ٦/ ٣٠٢ – ٣٠٣.
(١٠٤) تفسير الرازي: ١٢٢/٢٥.
(١٠٥) ينظر: صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، ٩٣/١، (٩١)، وسنن الترمذي: ٣٦١/٤، (١٩٩٩)، وشرح السنة للبغوي: ١٦٥/١٣، (٣٥٨٧).
(١٠٦) احكام القرآن للجصاص: ٤٥٩/٣.
(١٠٧) سورة القصص: الآية ٨١.
(١٠٨) تفسير الرازي: ١٧/٢٥.
(١٠٩) إحياء علوم الدين للغزالي: ٣/ ٣٥٣ – ٣٥٤.
(١١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٧٢/٣.
(١١١) تفسير الرازي: ١٢٣/٢٥.
(١١٢) أخرجه اين حبان في صحيحه: كتاب الحظر والإباحة، باب التواضع والكبر والعجب: ١٢/ ٤٩٢، (٥٦٧٩).
(١١٣) سورة الإسراء: الآية ٣٨.
(١١٤) في ظلال القرآن: ٢٢٢٨/٤.
(١١٥) تفسير الرازي: ٢١٠/١٤.
(١١٦) سورة النساء: الآية ٣٦.

(١١٧) تفسير الرازي: ٧٨/١٠.
(١١٨) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.
(١١٩) البحر المحيط: ٦٣٤/٣.
(١٢٠) تفسير إبن كثير: ٢/ ٢٦٤ – ٢٦٥..
(١٢١) تفسير المنار: ٧٨/٥.
(١٢٢) زهرة التفاسير: ١٦٨٠/٣.
(١٢٣) سورة الأنفال: الآية ٢٨.
(١٢٤) جامع البيان: ٤٨٦/١٣.
(١٢٥) تفسير المنار: ٩/ ٥٣٦ – ٥٣٧.
(١٢٦) البحر المحيط: ٥/ ٣٠٧ – ٣٠٨.
(١٢٧) سورة العلق: الآيات ٦ – ٧.
(١٢٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٢/١٠.
(١٢٩) سورة الكهف: الآية ٤٦.
(١٣٠) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.
(١٣١) في ظلال القرآن: ١٤٩٨/٣.
(١٣٢) تفسير المنار: ١١٦/١٠.
(١٣٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٢/١٠.
(١٣٤) التحرير والتنوير: ٩/ ٣٢٤ – ٣٢٥.
(١٣٥) سورة المنافقون: الآية ٩.
(١٣٦) أضواء البيان للشنقيطي: ٥٢/٢.
(١٣٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨/ ٢٥٠ – ٢٥١.
(١٣٨) التحرير والتنوير: ٢٨٤/٢٨.
(١٣٩) سورة التغابن: الآية ١٤.
(١٤٠) أضواء البيان: ٨/ ٢٠٤ – ٢٠٦.
(١٤١) سورة لقمان: الآية ١٧.
(١٤٢) بحر العلوم: ٢٦/٣.
(١٤٣) سورة العصر: الآية ٣.
(١٤٤) سورة البقرة: الآية ٤٥.
(١٤٥) التحرير والتنوير: ١/ ٤٧٧ – ٤٧٩.
(١٤٦) سورة البقرة: الآية ١٥٥.
(١٤٧) سورة فصلت: الآية ٣٥.
(١٤٨) سورة الزمر: الآية ١٠.
(١٤٩) أضواء البيان: ١/ ٢١٨ – ٢١٩.
(١٥٠) تفسير ابن كثير: ٢٨٧/٥.
(١٥١) سورة طه: الآية ١٣٢.
(١٥٢) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.
(١٥٣) التفسير القرآني للخطيب: ٥/ ٤٦٢ – ٤٦٣.
(١٥٤) سورة هود: الآية ٤٢.
(١٥٥) سورة هود: الآية ٤٣.
(١٥٦) سورة هود: الآية ٤٣.
(١٥٧) سورة هود: الآية ٤٣.

(١٥٨) في ظلال القرآن: ١٨٧٨/٤.
(١٥٩) تفسير القرطبي: ٤٧/٩.
(١٦٠) التفسير المنير للزحيلي: ١٢/ ٧٨ – ٧٩.
(١٦١) سورة المؤمنون: الآية ١٠١.
(١٦٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٢/ ٧٨ – ٨٠.
(١٦٣) التيسير في أحاديث التفسير للناصري: ٣/ ١٢٣ – ١٢٤.
(١٦٤) نظم الدرر للبقاعي: ٩/ ٢٨٨ – ٢٨٩.
(١٦٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٤/ ١٩٧.
(١٦٦) التحرير والتنوير: ١٣/١٦.
(١٦٧) سورة آل عمران: الآية ٣٦.
(١٦٨) سورة الكهف: الآية ٥٠.
(١٦٩) سورة النساء: الآية ٦٠.
(١٧٠) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٢٠١٨ – ٢٢٢.
(١٧١) تفسير ابن عثيمين: ١/ ٢٢٧ – ٢٣٠.
(١٧٢) ينظر: المصدر نفسه:١/ ٢٢٧ – ٢٣٠.
(١٧٣) سورة النحل: الآية ٩٩.
(١٧٤) سورة الشورى: الآية ٣٠.
(١٧٥) سورة النساء: الآية ٧٦.
(١٧٦) سورة الإسراء: الآية ٤٦.
(١٧٧) سورة آل عمران: الآية ١٧٥.
(١٧٨) سورة البقرة: الآية ٢٠٨.
(١٧٩) سورة يس: الآية ٦٠.
(١٨٠) سورة النساء: الآية ٨٣.
(١٨١) سورة المجادلة: الآية ١٩.
(١٨٢) سورة يوسف: الآية ٥.
(١٨٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٥/ ٥٥٨ – ٥٥٩، وتفسير السمرقندي: ٢/ ١٧٩ – ١٨٠، وتفسير الثعلبي: ٥/ ١٩٨ – ١٩٩، وتفسير الرازي: ١٨/ ٤٢٠ – ٤٢١.
(١٨٤) تفسير الشوكاني: ٧/٣.
(١٨٥) تفسير الطبري: ٥٥٨/١٥.
(١٨٦) تفسير المنار: ١٢/ ٢١٥ – ٢١٦.
(١٨٧) سورة يوسف: الآية ٩٠.
(١٨٨) التحرير والتنوير: ٢١٤/١٢.
(١٨٩) ينظر: المعجم الكبير للطبراني: ٩٤/٢٠، (١٣٨)، وشعب الإيمان: ٣٤/٩، (٦٢٢٨) حكم الألباني: صحيح، ينظر: صحيح الجامع الصغير: ٢٢٣/١، (٩٣٧).
(١٩٠) التفسير المنير: ١٢/ ٢٠٩ – ٢١٠.
(١٩١) تفسير الرازي: ٤٨١/١٨.
(١٩٢) سورة يوسف: الآية ٦٧.
(١٩٣) سورة يوسف: الآية ٦٨.
(١٩٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥/١٣.
(١٩٥) سورة يوسف: الآية ٨.
(١٩٦) تفسير الخازن: ٥١٤/٢.

(١٩٧) سورة يوسف: الآية ٩.
(١٩٨) تفسير ابن كثير: ٣١٩/٤.
(١٩٩) التحرير والتنوير: ٢٢٣/١٢.
(٢٠٠) سورة يوسف: الآية ١٨.
(٢٠١) سورة الصافات: الآية ١٠٠.
(٢٠٢) سورة الشعراء: الآية ٨٣.
(٢٠٣) سورة النمل: الآية ١٩.
(٢٠٤) تفسير الرازي: ٣٤٥/٢٦.
(٢٠٥) التحرير والتنوير: ١٤٨/٢٣.
(٢٠٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣/ ١٦٢ – ١٦٣.
(٢٠٧) سورة آل عمران: الآية ٣٩.
(٢٠٨) سورة النمل: الآية ١٩.
(٢٠٩) تفسير الرازي: ٢١٣/٨.
(٢١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٤/٨.
(٢١١) ينظر: المصدر السابق: ٥٢/١٣.
(٢١٢) التفسير القرآني للخطيب: ٩/ ٩١٩ – ٩٢٠.
(٢١٣) التحرير والتنوير: ١٧/ ١٠٩ – ١١٠.
(٢١٤) سورة الأعراف: الآية ٥٦.
(٢١٥) سورة هود: الآية ٨٥.
(٢١٦) سورة الشعراء: الآية ١٥١.
(٢١٧) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.
(٢١٨) التحرير والتنوير: ٨٨/٩.
(٢١٩) التحرير والتنوير: ٨/ ١٧٣ – ١٧٤.
(٢٢٠) سورة لقمان: الآية ١٦.
(٢٢١) تفسير القرطبي: ٦٦/١٤ – ٦٧.
(٢٢٢) سورة هود: الآية ٤٢.
(٢٢٣) نظم الدرر: ٩/ ٢٨٧ – ٢٨٩.
(٢٢٤) سورة الأنعام: الآية ١٤.
(٢٢٥) تفسير السعدي: ٢٥١/١.
(٢٢٦) سورة البقرة: الآية ٢٣٥.
(٢٢٧) سورة الحديد: الآية ٤.
(٢٢٨) تفسير السعدي: ٨٣٧/١.
(٢٢٩) أخرجه الترمذي في سننه: باب صفة القيامة: ٦٦٧/٤، (٢٥١٦)، حكم الألباني: صحيح.
(٢٣٠) سورة العنكبوت: الآية٦٤.
(٢٣١) تفسير الرازي: ٧٥/٢٥.
(٢٣٢) سورة الأحقاف: الآية ١٧.
(٢٣٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٩٥/١١.
(٢٣٤) سورة يوسف: الآية ٨٧.
(٢٣٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٩٥/١١.
(٢٣٦) سورة الحجرات: الآية ١٢.
(٢٣٧) تفسير الرازي: ٢٨/ ١١٠ – ١١١.

(٢٣٨) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في الظن: ٤/٢٨٠، (٤٩١٧) حكم الألباني: صحيح.
(٢٣٩) تفسير القرطبي: ١٦/٣٣١.
(٢٤٠) سورة القلم: الآية ١٠.
(٢٤١) سورة القلم: الآية ١١.
(٢٤٢) سورة القلم: الآية ١٢.
(٢٤٣) تفسير الرازي: ٣٠/ ٦٠٣ – ٦٠٤.
(٢٤٤) سورة القلم: الآية ١٣.
(٢٤٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠/ ٦٠٤ – ٦٠٥.
(٢٤٦) سورة المدثر: الآية ٤٢.
(٢٤٧) سورة المدثر: الآية ٤٣.
(٢٤٨) سورة المدثر: الآية ٤٤.
(٢٤٩) سورة المدثر: الآية ٤٥.
(٢٥٠) سورة المدثر: الآية ٤٦.
(٢٥١) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٣٢٧ – ٣٢٨.
(٢٥٢) سورة الأنعام: الآية ١٥١.
(٢٥٣) في ظلال القرآن: ٣/ ١٢٣٠ – ١٢٣١.
(٢٥٤) في ظلال القرآن: ٣/ ١٢٣٠ – ١٢٣١.
(٢٥٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٠.
(٢٥٦) التحرير والتنوير: ٤/ ٨٦ – ٨٧.
(٢٥٧) سورة الذاريات: الآيات ١٥ – ١٦.
(٢٥٨) سورة الذاريات: الآيات ١٧ – ١٩.
(٢٥٩) ينظر: في ظلال القرآن: ٦/ ٣٣٧٦ – ٣٣٧٧، وينظر: التحرير والتنوير: ٢٦ / ٣٤٨ – ٣٥٠.
(٢٦٠) ينظر: في ظلال القرآن: ٦/ ٣٣٧٦ – ٣٣٧٧، وينظر: التحرير والتنوير: ٢٦ / ٣٤٨ – ٣٥٠.
(٢٦١) سورة طه: الآيات ٣٠ – ٣٢.
(٢٦٢) تفسير الرازي: ٢٢/ ٤٥ – ٤٦.
(٢٦٣) التحرير والتنوير: ١٦ / ٢١٣ – ٢١٤.
(٢٦٤) التحرير والتنوير: ١٦/ ٢١٣ – ٢١٤.
(٢٦٥) سورة القصص: الآية ٣٥.
(٢٦٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠/ ١١٧ – ١١٨.
(٢٦٧) سورة الذاريات: الآية ٢٦.
(٢٦٨) تفسير الرازي: ٢٨/ ١٧٦ – ١٧٧.
(٢٦٩) تفسير ابن كثير: ٧/ ٣٩٢ – ٣٩٣.
(٢٧٠) سورة مريم: الآية ٥.
(٢٧١) سورة غافر: الآية ٨.

المصادر:

١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ١٨ (الأخير فهارس).

٢- أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، ت: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٣.

٣- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، الطبعة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

٥- بحر العلوم: السمرقَنْدي، أبو الليث (؟ - ٣٧٥هـ، - ٩٨٥م)، نصر بن محمد بن أحمد السّمرقندي، مفسر ومحدث، لقب بإمام الهدى لفضله وصلاحه. ترك عدة مؤلفات أبرزها تفسيره، وهو متوسط الحجم، جمع فيه الأقوال المأثورة في التفسير.

٦- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس احمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الانجري الفاسي (ت: ١٢٢٤هـ)، ت: احمد عبد الله القرشي رسلان، ت: حسن عباس زكي – القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ.

٨- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ، الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

٩- تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١.

١٠- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

١١- تفسير القرآن الكريم: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ٦.

١٢- التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠ هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة.

١٣- تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠، معدد الأجزاء: ١٢ جزءا.

١٤- التفسير المنير: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٥- التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ط١.

١٦- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٣٣ (٣٢ ومجلد للمقدمة).

١٧- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأهلي أبو جعفر الطبري، (ت: ٣١٠هـ) ت: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، الأجزاء ٢٤.

١٨- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات).

١٩- حقائق التفسير للسلمي: إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمي النيسابوري، أبو عمرو (المتوفى: ٣٦٦هـ)، تحقيق: خلاف محمود عبد السميع، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) . ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس).

٢١- زهرة التفاسير: محمد بن احمد بن مصطفى بن احمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، الأجزاء: ١٠.

٢٢- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

٢٣- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، ت: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

٢٤- شرح السنة: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، الشافعي: (ت: ٥١٦هـ) ت: شعيب الارنووط، المكتبة الإسلامية/ دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٥- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، ت: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ومختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣، ومجلد للفهارس).

٢٦- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، عدد الأجزاء: ٩.

٢٧- صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، عدد الأجزاء: ٢.

٢٨- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥.

٢٩- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٠- في ظلال القرآن، لسيد قطب – رحمه الله –، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م، عدد الصفحات: ٥٥٠.

٣١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧ هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، ت: عدد من الباحثين (٢١) مثبت أسماؤهم بالمقدمة (صـ ١٥)، أصل الكتاب: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م، عدد الأجزاء: ٣٣ (آخر ٣ فهارس).

٣٢- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، ت: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٣- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢٠.

٣٤- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ٩ (٨ ومجلد للفهارس).

٣٥- مجلة مداد الآداب، الجامعة العراقية، العدد الثالث وثلاثون.

٣٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٨.

٣٧- المُعْجَمُ الكَبِير للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، ت: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، عدد الأجزاء: ٢ (تقابل جـ ١٣، ١٤ من المعجم الكبير).

٣٨- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٣٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢.

٤٠- مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

٤١- التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٦.

Sources:
1- Al-Ihsan in the approximation of Sahih Ibn Habban: Muhammad bin Hibban bin Ahmed bin Hibban bin Muadh bin Ma'bad, Al-Tamimi, Abu Hatim, Al-Darimi, Al-Basti (deceased: 354 AH), Prince Alaa Al-Din Ali bin Balban Al-Farsi (deceased: 739 AH), edited and narrated by Shuaib Al-Arnaout, Al-Resala Foundation, Beirut, first edition, 1408 AH - 1988 AD, number of parts: 18 (the last indexes).
2- The provisions of the Qur'an: Ahmad bin Ali Abu Bakr al-Razi al-Jassas al-Hanafi (deceased: 370 AH), T: Abd al-Salam Muhammad Ali Shaheen, Dar al-Kutub al-Ilmiyya Beirut – Lebanon, first edition, 1415 AH / 1994 AD, number of volumes: 3.
3- Revival of Religious Sciences: Abu Hamid Muhammad bin Muhammad al-Ghazali al-Tusi (deceased: 505 AH), Dar al-Maarifa – Beirut, number of parts: 4.
4- Adwa' al-Bayan fi clarifying the Qur'an with the Qur'an: Muhammad al-Amin bin Muhammad al-Mukhtar bin Abdul Qadir al-Jakni al-Shanqeeti (deceased: 1393 AH), publisher: Dar al-Fikr for printing, publishing and distribution, Beirut – Lebanon, edition: 1415 AH - 1995 AD.
5- Bahr al-Uloom: al-Samarqandi, Abu al-Laith (? - 375 AH, - 985 AD), Nasr bin Muhammad bin Ahmad al-Samarqandi, interpreter and modernist, nicknamed Imam al-Huda for his virtue and goodness. He left several books, most notably his interpretation, which is medium in size, in which he collected aphorisms in the interpretation.
6- Al-bahr al-muhit fi al-tafsir Tafsir: Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer al-Din al-Andalusi (deceased: 745 AH), investigator: Sidqi Muhammad Jameel, publisher: Dar al-Fikr – Beirut, edition: 1420 AH.
7- Al-bahr al-madeed fi tafsir al-Qur'an al-majeed: Abu Al-Abbas Ahmed bin Muhammad bin Al-Mahdi bin Ajiba Al-Hasani Al-Anjari Al-Fassi (d.: 1224 AH), T.: Ahmed Abdullah Al-Qurashi Raslan, T.: Hassan Abbas Zaki - Cairo, 1st Edition, 1419 AH.
8-AL-tahrir wa al-tanwair, Muhammad al-Taher bin Muhammad bin Muhammad al-Taher bin Ashour al-Tunisi (deceased: 1393 AH), Tunisian Publishing House – Tunis, 1984 AH, volumes: 30 (and part no. 8 in two parts).
9- Tafsir al-Saadi: Abd al-Rahman ibn Nasir ibn Abdullah al-Saadi (deceased: 1376 AH), investigator: Abd al-Rahman ibn Mualla al-Luwaihaq, publisher: Al-Resala Foundation, first edition, 1420 AH-2000 AD, number of parts: 1.
10- Interpretation of the Great Qur'an: Abu al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer al-Qurashi al-Basri and then al-Dimashqi (deceased: 774 AH),

Sami bin Muhammad Salama, Dar Taiba for Publishing and Distribution, second edition 1420 AH - 1999 AD, number of volumes: 8.
11- Interpretation of the Holy Qur'an: Muhammad bin Saleh bin Muhammad Al-Uthaymeen (deceased: 1421 AH), Dar Al-Watan Publishing, Riyadh, edition: 1426 AH, number of parts: 6.
12- Quranic interpretation of the Qur'an: Abdul Karim Yunus Al-Khatib (deceased: after 1390 AH), Dar Al-Fikr Al-Arabi - Cairo.
13- Tafsir al-Manar: Muhammad Rashid bin Ali Rida (deceased: 1354 AH), Egyptian General Book Organization, 1990, multi-volume: 12 parts.
14- Al-Tafsir Al-Munir: Dr. Wahba bin Mustafa Al-Zuhaili, Publisher: Dar Al-Fikr - Damascus, Edition: First - 1422 AH.
15-Al-Tafsir al-waset : Mohamed Sayed Tantawi, Dar Nahdet Misr for printing, Cairo, 1st Edition.
16- Interpretation of Hada'iq al-rooh wa al-rehan fi rawabi uloom al-qur'an Sheikh Muhammad Al-Amin bin Abdullah Al-Armi Al-Alawi Al-Harari Al-Shafi'i, supervised and reviewed: Dr. Hashim Muhammad Ali bin Hussein Mahdi, publisher: Dar Tuq Al-Najat, Beirut - Lebanon, first edition, 1421 AH - 2001 AD, number of parts: 33 (32 and a volume for the introduction).
17- Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an: Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghalib al-Ahli Abu Jaafar al-Tabari, (d. 310 AH) T: Ahmed Muhammad Shaker, Al-Resala Foundation, 1st edition, 1420 AH - 2000 AD, parts 24.
18- The Collector of the provisions of the Qur'an = Tafsir al-Qurtubi: Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr bin Farah al-Ansari al-Khazraji Shams al-Din al-Qurtubi (deceased: 671 AH), T: Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfaish, Dar al-Kutub al-Masriya – Cairo, edition: second, 1384 AH - 1964 AD, number of parts: 20 parts (in 10 volumes).
19- Facts of interpretation of Al-Salami: Ismail bin Najid bin Ahmed bin Yusuf Al-Salami Al-Nisaburi, Abu Amr (deceased: 366 AH), investigated by: Khalaf Mahmoud Abdel Samie, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, first edition, 1423 AH - 2002 AD.
20Rooh al-ma'ani fi tafsir al-qur'an wa al-sab' al-mathani: Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Husseini al-Alusi (deceased: 1270 AH) T: Ali Abdul Bari Attia, Dar al-Kutub al-Ilmiyya – Beirut, first edition, 1415 AH, number of parts: 16 (15 and indexes volume).
21- Zahrat al-Tafsir: Muhammad bin Ahmed bin Mustafa bin Ahmed known as Abu Zahra (d.: 1394 AH), Dar al-Fikr al-Arabi, parts: 10.
22- Sunan Abi Dawood: Abu Dawood Suleiman bin Al-Ash'ath bin Ishaq bin Bashir bin Shaddad bin Amr Al-Azdi Al-Sijistani (deceased: 275 AH), T: Muhammad Muhyi al-Din Abdul Hamid, Al-Asriya Library, Saida – Beirut, number of volumes: 4.

23- Sunan al-Tirmidhi: Muhammad ibn Isa ibn Surah ibn Musa ibn al-Dahhak, al-Tirmidhi, Abu Isa (deceased: 279 AH), T: Ahmad Muhammad Shakir (vol. 1, 2), Muhammad Fouad Abd al-Baqi (vol. 3), and Ibrahim Atwa Awad, a teacher at Al-Azhar Al-Sharif (vol. 4, 5), Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press Company – Egypt, second edition, 1395 AH - 1975 AD, number of parts: 5 parts.
24- Explanation of the Sunnah: Abu Muhammad Al-Hussein bin Masoud bin Muhammad Al-Farra Al-Baghwi, Al-Shafi'i: (d.: 516 AH) T: Shuaib Al-Arnaout, Islamic Library / Damascus, 2nd Edition, 1403 AH - 1983 AD.
25- Shaab al-Iman: Ahmad ibn al-Husayn ibn Ali ibn Musa al-Khusroujerdi al-Khorasani, Abu Bakr al-Bayhaqi (deceased: 458 AH), T: Dr. Abd al-Ali Abd al-Hamid Hamid and Mukhtar Ahmad al-Nadawi, owner of the Salafi House in Bombay – India, Al-Rushd Library for Publishing and Distribution in Riyadh in cooperation with the Salafi House in Bombay, India, first edition, 1423 AH - 2003 AD, number of volumes: 14 (13, volume of indexes).
26- Sahih al-Bukhari: Muhammad bin Ismail Abu Abdullah al-Bukhari al-Jaafi, investigator: Muhammad Zuhair bin Nasser al-Nasir, publisher: Dar Tuq al-Najat (illustrated from the sultaniyya with the addition of Muhammad Fouad Abd al-Baqi's numbering), first edition, 1422 AH, number of parts: 9.
27- Sahih al-Jami' al-Saghir wa'l-Ziyada: Abu 'Abd al-Rahman Muhammad Nasir al-Din, ibn al-Hajj Nuh ibn Najati ibn Adam, al-Ashqwadari al-Albani (deceased: 1420 AH), al-Maktab al-Islami, number of volumes: 2.
28- Sahih Muslim: Muslim ibn al-Hajjaj Abu al-Hasan al-Qushayri al-Nisaburi (deceased: 261 AH), investigator: Muhammad Fouad Abd al-Baqi, publisher: Dar Revival of Arab Heritage – Beirut, number of volumes: 5.
29- Fath al-Qadeer: Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah al-Shawkani al-Yamani, (d.: 1250 AH), Dar Ibn Kathir, Dar al-Kalam al-Tayeb, Damascus, 1st edition, 1414 AH.
30- In the Shadows of the Qur'an, by Sayyid Qutb - may Allah have mercy on him -, Alawi bin Abdul Qadir Al-Saqqaf, Dar Al-Hijrah for Publishing and Distribution, second edition, 1416 AH - 1995 AD, number of pages: 550.
31- Disclosure and statement on the interpretation of the Qur'an: Abu Ishaq Ahmad bin Ibrahim al-Thaalbi (deceased: 427 AH), supervised by Dr. Salah Ba'othman, Dr. Hassan Al-Ghazali, Prof. Dr. Zaid Maharash, Prof. Dr. Amin Pasha, T: A number of researchers (21) whose names are proven in the introduction (p. 15), the origin of the book: university theses (mostly master's) for a number of researchers, Dar Al-Tafsir, Jeddah - Saudi Arabia, edition: First, 1436 AH - 2015 AD, number of volumes: 33 (last 3 indexes).

32Libab al-ta’weel fi ma’ani al-tanzeelAlaa al-Din Ali bin Muhammad bin Ibrahim bin Omar al-Shihi Abu al-Hassan, known as al-Khazen (deceased: 741 AH), T: Muhammad Ali Shaheen, Dar al-Kutub al-Ilmiyya – Beirut, first edition, 1415 AH.
33- Al-Labbab fi 'Uloom al-Kitab: Abu Hafs Siraj al-Din Omar bin Ali bin Adel al-Hanbali al-Dimashqi al-Nu'mani (deceased: 775 AH), T: Sheikh Adel Ahmad Abd al-Mawjoud and Sheikh Ali Muhammad Moawad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut / Lebanon, first edition, 1419 AH-1998 AD, number of parts: 20.
34- Al-Mujtaba from the Sunan = Al-Sunan al-Sughra al-Nasa'i: Abu 'Abd al-Rahman Ahmad bin Shu'ayb bin Ali al-Khorasani, al-Nasa'i (deceased: 303 AH), T: 'Abd al-Fattah Abu Ghuddah, Islamic Publications Office – Aleppo, second edition, 1406-1986, number of volumes: 9 (8 and a volume for indexes).
35- Journal of Literature, Iraqi University, thirty-third issue.
36- Ma’alim al-tanzeel fi tafsir al-Qur'an = Tafsir al-Baghwi: Muhyi al-Sunnah, Abu Muhammad al-Husayn ibn Mas'ud al-Baghawi (deceased: 510 AH), edited and narrated by Muhammad Abdullah al-Nimr - Othman Jumaa Damiriya - Suleiman Muslim al-Harsh, Dar Taiba for Publishing and Distribution, fourth edition, 1417 AH - 1997 AD, number of parts: 8.
37- The Great Dictionary of Al-Tabarani: Suleiman bin Ahmed bin Ayyub bin Mutair Al-Lakhmi Al-Shami, Abu Al-Qasim Al-Tabarani (deceased: 360 AH), T: A team of researchers under the supervision and care of Dr. Saad bin Abdullah Al-Hamid and Dr. Khalid bin Abdul Rahman Al-Jeraisy, number of parts: 2 (corresponding to vol. 13, 14 of the Great Dictionary).
38- Mafateeh al-ghayb= Great Interpretation: Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi Khatib Al-Rai (deceased: 606 AH), Publisher: Dar Revival of Arab Heritage - Beirut, Edition: Third - 1420 AH.
39- Nazm al-Durar in proportion to verses and surahs: Ibrahim bin Omar bin Hassan al-Rabat bin Ali bin Abi Bakr al-Buqai (deceased: 885 AH), publisher: Dar al-Kitab al-Islami, Cairo, number of volumes: 22.
40- Majmoo' al-Fataawa: Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Taymiyyah al-Harrani (deceased: 728 AH), investigator: Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Qasim, King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, Madinah al-Nabawiyyah, Saudi Arabia.
41- Al-Tayseer fi Hadiths of Interpretation: Muhammad al-Makki al-Nasiri (deceased: 1414 AH), Dar al-Gharb al-Islami, Beirut – Lebanon, first edition, 1405 AH - 1985 AD, number of volumes: 6.